وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

النفاق والمنافقون في الحديث النبوي الشريف

(دراسة موضوعية بلاغية)

رسالة يتقدم بها الطالب

عمار مكي محسن

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها
بإشراف

أ. م. د. فالح حمد أحمد الحمداني

١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالقَولِ الثَّابِتِ في الحَيَوةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمينَ وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشَاءُ(٢٧)

صدق الله العلي العظيم

سورة إبراهيم/ الآية ٢٧

الإهداء

إلى من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

.. إليك يا مولاي يا من سيطهر الأرض من

المنافقين والضالين وأبناء الضالين، يا حجة ابن

الحسن (عجل الله فرجك الشريف)

إلى ... والِدَيَّ الحنونين العزيزين ...

إلى ... زوجتي وولدَيَّ ...

أهدي هذا العمل القليل

الباحث

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ ((النفاق والمنافقون في الحديث النبوي الشريف " دراسة موضوعية بلاغية ")) جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية / في كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

الإمضاء :

المشرف :

أ .م . د : فالح حمد احمد

التاريخ : ١٧/ ١ / ٢٠١٣

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

الإمضاء :

رئيس قسم الغة العربية

م . د : علي عبد رمضان

التاريخ : ١٧/ ١ / ٢٠١٣

قرار لجنة المناقشة وعميد الكلية

نشهد نحن لجنة المناقشة والتقويم اننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ ((النفاق والمنافقون في الحديث النبوي الشريف " دراسة موضوعية بلاغية ")) وناقشنا الطالب (عمار مكي محسن مهوس) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ووجدناها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وادابها بتقدير (جيد) .

التوقيع:

الاسم : أ . م . د . جبار عودة بدن

رئيسا

التوقيع:

الاسم : أ. م . د . حيدر برزان سكران

عضوا

التوقيع:

الاسم :م . د . شروق محسن كاطع

عضو ا

التوقيع:

الاسم : ا. م. د. فالح حمد احمد

عضوا و مشرفا

صادق مجلس كلية التربية / جامعة البصرة ، على ما جاء في قرار اللجنة اعلاه .

أ. م. د. حسين عودة هاشم

عميد كلية التربية للعلوم الانسانية

جامعة البصرة

/ / ٢٠١٣

المحتويات

المقدمة	أ – ج
التمهيد **أولا : النفاق لغة واصطلاحا** **ثانيا : نبذة مختصرة عن المنافقين في بدايات التاريخ الاسلامي**	٢–٨
الفصل الأول النفاق في لفظه الصريح	١٠–٢٧
المبحث الأول/ النفاق في بدورة الاولى	١٠–١٦
المبحث الثاني/ مرض النفاق في الأخلاق والآداب	١٧–٢٧
الفصل الثاني النفاق في مفهومه غير الصريح (الضمني أو السياقي)	٢٩–٦٦
المبحث الأول/ المنافقون والمصلحون	٢٩–٣٧
المبحث الثاني/ النفاق في الإمارة والحكم	٣٨–٤٤
المبحث الثالث/ آفاق النفاق وأبعاده الأخرى (من روايات الفتن وأحوال آخر الزمان)	٤٥–٦٦
الفصل الثالث المنافقون من خلال سماتهم	٦٨–٩٢
المبحث الأول/ المنافقون في سماتهم الصريحة	٦٨–٨١
المبحث الثاني/ المنافقون في سماتهم غير الصريحة (الضمنية أو السياقية)	٨٢–٩٢
الخاتمـــــــــــة	٩٤–٩٧
المصـــــــــــادر	٩٩–١٠٣

المقدمـــــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله الأطهار الميامين وبعد ....

فإنه لا يخفى على كل مسلم مطلع على تراث الرسول الأكرم الأقدس الأنور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لتأثير بيانه وفصاحة منطقه وبلاغته بل وكل فعاله وشمائله على الانسانية جمعاء من نور وعطاء ورحمة، وحقيقة ان القلم واللسان لَعاجزان عن التعبير عن بلاغة من أُوتي جوامع الكلم وذلت له بقدرة المولى عز وجل أزمة العرب والعجم، إلا ان ما لا يدرك كله لا يترك جله، فهذا بحث جامعي أراد أن يتسلق ليطلع على نور البيان النبوي العظيم وذلك من خلال دراسة موضوعية بلاغية لبعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت ظاهرة النفاق والمنافقين، إلا ان الدراسة واجهت صعوبات كان من أهمها ندرة الدراسات والتحليلات البلاغية في كتب شروحات الحديث النبوي الشريف والمراجع العربية القديمة، ما جعل الباحث أمام مشكلة كان لابد من الخوض فيها والخروج من خلالها بثمرة لا يدعي الباحث تمام نضجها والعذر عند كرام الناس مأمول.

وقد تقسّم البحث على تمهيد وفصول ثلاثة، اشتمل التمهيد على محورين هما: أولاً. النفاق لغةً واصطلاحاً والمحور الثاني نبذة مختصرة عن المنافقين في بدايات التاريخ الأسلامي

أما الفصل الأول من البحث فكان عنوانه (النفاق في لفظه الصريح) حيث تناول شواهد نبوية وردت فيها لفظة النفاق أو المنافق أو غيرها بشكل صريح، وكان مقسّماً على مبحثين ، الأول: النفاق في بذوره الأولى أي فيما يتعلق بنشر الدعوة الإسلامية الشريفة وبروز النفاق في جنباتها ، والثاني كان مداره حول علاقة النفاق بالأخلاق والآداب وما كشف عنه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من صفات المنافقين في الكذب في الحديث ، وخيانة الأمانة ، وما إلى ذلك.

أما الفصل الثاني فقد توسعت فيه الشواهد لكثرتها في المصادر موضوع البحث وكان عنوانه (النفاق في مفهومه غير الصريح (الضمني أو السياقي))، وقد تناول البحث فيه الشواهد

النبوية الشريفة إلى اتسع معناها وزمانها عما هو الحال في الفصل الأول، ذلك ان دراسة البحث للنفاق الذي تجذر في بداية تاريخ الدعوة الاسلامية مما لا يستطيع الباحث أن يبني من خلاله رسالة تليق برسالة (ماجستير) من حيث النوع والكم.

وكانت تقسيمات هذا الفصل على ثلاثة مباحث أيضا، هي أولا: المنافقون والمصلحون أي دراسة الشواهد التي صورت تمركز المنافقين حول جهة الاصلاح بصورة عامة، ثم جاء المبحث الثاني ليكشف عن صورة النفاق في الإمارة والحكم، وبعده المبحث الثالث والذي تناول روايات الفتن وأحوال آخر الزمان.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان (خصائص المنافقين وسماتهم) وكان تقسيمه على مبحثين، تضمن الأول بعض تلك الخصوصيات ضمن لفظ النفاق الصريح والتي هي:

١. الحيرة والتخاذل.
٢. الظاهر الحسن البراق.
٣. السلامة من البلاء.
٤. المماراة وحسن الكلام.
٥. الوضاعة بالرغم من الشرف الظاهري.
٦. الموقف السلبي تجاه الصلاة.
٧. الافتضاح في الحساب الالهي.
٨. الشك في العقائد الاسلامية.

والمبحث الثاني تضمن من سماتهم ما كان المضمون فيه ضمنياً يفهم من السياق، وهذه السمات هي:

١. دخولهم في معنى الخبث.
٢. الاحتيال والمكر.
٣. تفضيل المصلحة الشخصية على أي أمر.

٤. الخيانة والغدر.

٥. الرياء.

٦. ازدواجية الرأي والموقف.

ومن أهم ما يجب علي ذكره هو ان عقلية الباحث ليست ذات تمرس في دراسة النصوص المقدسة أو ليست عقلية كاشفة عن معاني القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة، ما جعل بناء البحث وتحليلاته كلها من باب الاحتمالات وليس الجزم.

اضافة إلى ان منهج البحث كان منهجاً تحليلياً مستعرضآ بعض مايتيسر للباحث من علوم البلاغة العربية الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) التي تضمنتها الشواهد الشريفة موضوع البحث.

من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق لذا فإن من الواجب علي شكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة في بناء هذا البحث وأول من أتقدم له بالشكر الجزيل الدكتور فالح حمد الحمداني الذي حقيقتة لولا إشرافه الدقيق وملاحظاته السديده لم يستطع البحث الصمود فله مني خالص الشكر والعرفان.

وأتقدم كذلك بالشكر الجزيل لمن ساعدني في مهمتي هذه وأقصد: موظفي المكتبة المركزية العامة وكذلك موظفي المكتبة المركزية لجامعة البصرة وموظفي مكتبة نازك الملائكة في كلية التربية إذ كان لهم الفضل في المساعدة فلهم مني خالص الشكر والامتنان.

وأخيراً وليس آخراً أسأل المولى العلي القدير أن يغفر لي ويعفو عني فيما قصرت فيه وأن يوفقني للنجاح في قطف ثمرة هذه المهمة الجليلة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

مفهوم النفاق وتاريخه

أولا: لغةً واصطلاحاً

ثانياً: نبذة مختصرة عن المنافقين في بدايات التاريخ الأسلامي

اولاً : النفاق لغةً واصطلاحاً:

جاء في (لسان العرب) في مادة (نفَقَ) : ((و النفق : سربٌ في الأرض مشتق إلى موضع آخر، وفي التهذيب : له مخلص إلى مكان آخر ، وفي المَثَل : ضلّ دُرَيص نفقه: أي جحره... واستعاره امرؤ ألقيس لحجرة الفأرة ، فقال يصف فرساً:

خفاهن من أنفاقهنّ ، كأنما

خفاهن ودق من عشي مجلب .

والنفقة والنافِقاء: جحر الضّب واليربوع ، وقيل : النفقة و النافقاء ، موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أُتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج ، ... وتنفقه الحارش و انتفقه : استخرجه من نافقائه ، واستعاره بعضهم للشيطان فقال:

أذا الشيطان قصع في قفاها

تنفقناه بالحبل التؤام،

أي : استخرجناه استخراج الصنب من نافقائه)).[١]

وينقل المصنف عن ابي عبيدة قوله : ((سمي المنافق منافقاً للنفق ، وهو السرب في الأرض، وقيل : أنما سمي منافقاً؛ لانه نافق كاليربوع، وهو دخوله نافقاءه ...)).[٢]

وكذلك يورد ابن منظور عن ابي زيد قوله : ((والنفقةُ مثال الهمزة : النافقاء ، تقول منه : نفق اليربوع تنفيقاً ونافق ،أي دخل في نافقائه ، ومنه اشتقاق المنافق في الدين .))[٣]

اذاً ، فالمنافق يشابه فعله اليربوع ، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه. [٤]

---

[١]- لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، نشر ادب الحوزة ، قم ، ١٤٠٥هـ ، مادة (نَفَقَ) ، ج ٣٥٨/١٠.

[٢]- م ، ن : مادة (نَفَقَ) ، ١٠ /٣٥٩.

[٣]- م ، ن : مادة (نَفَقَ) ، ١٠ / ٣٥٩.

[٤]- ينظر: م ، ن : مادة (نَفَقَ) ، ١٠ / ٣٥٩.

ولا يرى الباحث حاجه في استقصاء معنى النفاق لغةً في كتب اللغة ؛ لأنها متفقة على المعنى المتقدم بدليل ما ذكره مصنف (معاني القرآن) في قوله: (... قال أهل اللغة: النفاق مأخوذٌ من نافقاء اليربوع ، وهو جحر يخرج منه اليربوع إذا اخذ علية الجحر الذي يدخل فيه ، فقيل منافق؛لأنه يدخل الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد). [١]

وأما في الأُصطلاح فقد نقل بن منظور عن أبي زيد قوله: (... والنفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر).[٢]

وأيضا في لسان العرب جاء عن النفاق:(... وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره، ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفاً). [٣]

وجاء في (العين): (وكفر النفاق: وهو ان يؤمن بلسانه والقلب كافر). [٤]

وفي (سبل السلام): (النفاق هو إضهار مايبطن خلافه). [٥] وفي (تفسير القرآن العظيم): (النفاق هو: إضهار الخير وأسرار الشر).[٦]

---

[١]- معاني القرآن : ابو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨) تح : محمد علي الصابوني ، ط ١،جامعة ام القرى ، السعودية ،١٤٠٩هـ ، ج ٨٨/١ .

[٢]-لسان العرب: مادة (نفق) ، ٣٥٩/١٠ .

[٣]-لسان العرب : مادة (نفق) ،ج ٣٥٩/١٠ .

[٤]-كتاب العين: ابوعبدالرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي(ت ١٧٥هـ) تح: د. مهدي المخزومي – ابراهيم السامرائي ، ط ٢ ، مؤسسة دار الهجرة ،المطبعة: صدر ،١٤٠٩هـ ، ج ٥ /٣٥٦ .

[٥]-سبل السلام: محمد بن اسماعيل الكحلاني (ت ١١٨٢)، ط ٤ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، ١٣٧٩هـ ، ج ١٨٧/٤ .

[٦]-تفسير القرآن العظيم: ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت ٧٧٤) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، ج ١/ ٥٠ .

ثانياً: نبذة مختصرة عن المنافقين في بدايات التاريخ الإسلامي

لقد كان للمنافقين دور كبير في إيذاء ومحاربة رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإيذاء المسلمين الأوائل، اذ انطلقوا بخبث وإصرار مبيت في الإطاحة بمشروع الإسلام الشريف ودعوته الكريمة العظيمة مجسدين شوكة قذرة تجذرّت في طريق الإسلام وحركته الخالدة.

ويكفي ان يذكرهم الله جل جلاله في كتابة الكريم بقوله: ((... هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون))[١]، وبعد هذا النص الشريف نلاحظ مدى حجم محنة الاسلام أن تواجد في صفوفه اناسٌ اظهروا الخير والحب والبشاشة وابطنوا الكفر والعداوة والبغضاء مستغلين حلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسعة صدره العظيم.

وحقيقةً ، لو لم يكن في تاريخ المنافقين الأسود إلا علاقتهم بحادثة الإفك المعروفة لكفى، تلك الحادثة التي نزلت فيها آية :((إن الذين جآءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم مااكتسب من الإثم والذي تولّى كبره منهم له عذاب عظيم)). [٢]

وقد اخذت آيات النفاق والمنافقين من القرآن الكريم مساحة واسعة منه، فقد ورد في بعض كتب التفسير – (الكشّاف)– ما مضمونه ان سورة التوبة – مثلاً– سُمّيت بأسماء عدة ، منها: المقشقشة ، أي انها تقشقش من النفاق أي: تبرئ منه ، وتبعثر عن أسرار المنافقين ، تبحث عنها وتثيرها فتفضحهم وتنكلهم وتشردبهم وتخزيهم وتدمدم عليهم.[٣]

---

[١]-سورة (المنافقون)، من الآية ٤.

[٢]-سورة (النور) ،الآية ١١.

[٣]-ينظر: الكشّاف : محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبط وتوثيق: ابي عبدالله الداني ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م،ج٢ /١٨١.

وكذلك آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بشكل كبير ولذلك من الشواهد مايطول به المقام ، منها على سبيل المثال:

أولاً: حقدوا كثيراً على امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وشككوا أو حاولوا التشكيك فيه عندما خلفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على اهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف أهل النفاق بذلك وقالوا: (ماخلّفه ألا استثقالا له وتخففاً عنه) [١]

ثانياً: كانوا يحضرون المسجد فيستمعون احاديث المسلمين ويسخرون منهم ومن دينهم فاجتمع يوماً منهم ناس، فرآهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتحدثون بينهم بصوت منخفض وقد لصق بعضهم ببعض، فأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإخراجهم من المسجد إخراجاً عنيفاً[٢].

ثالثاً: وشككوا في تحول قبلة الاسلام من بيت المقدس الى المسجد الحرام[٣].

رابعاً: بناؤهم للمسجد الذي أريد به الباطل والتفريق كمؤسسة نفاقية – إن جاز التعبير– وقد عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ((والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون [١٠٧] لاتقمْ فيه أبداً لمسجد أُسِسّ على التقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه فيه رجال يحبّون ان يتطهّروا والله يحبّ المطّهّرين [١٠٨])) [٤]

---

[١]-ينظر: سيرة النبي: محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي(ت١٥١) تح: محمد محي الدين عبدالحميد، نشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر،١٣٨٣هـ، ٠٩٤٦/٤

[٢]-ينظر م ، ن: ٣٧٠/٢.

[٣]-ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠) ، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار ، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٨/٢ .

[٤]-ينظر : م ، ن:٣٦/١١

[٥]-سورة التوبة: الآية ١٠٧، والآية ١٠٨

خامساً: ومن صور تحايلهم ومماطلاتهم الخبيثة الجبانة ، إدعاؤهم ان بيوتهم عورة والمعنى صريح وواضح في آي الذكر الحكيم في قوله تعالى:((وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وماهي بعورة إن يريدون إلافراراً))[1] حيث جاء في احد كتب التفسير ما مضمونه انهم قالوا: بيوتنا تلي العدو ولانأ من على اهالينا، ماجعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبعث بعض المسلمين فلا يجدوا فيها أحداً[2].

سادساً: وشككوا ايضاً بتقدم الاسلام وزحفه العسكري على أصعاق المعمورة في فتح ملك فارس والرّوم حيث قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ذلك ألم يكفه مكة والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم[3] ؟...

سابعاً: كانوا يتلاعبون في الفاظ ومعاني القرآن الكريم دجلاً ومفالطةً ليحافظوا بذلك على دنياهم الفانية الفاسدة وكيانهم المنحرف ، حيث ورد عن ابن عباس انه فسّر قوله تعالى: ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أُم الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبِعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ....)) [4] ان المنافقين يحملون محكم القرآن على متشابهه والمتشابه على المحكم ويُلبِسون فلبس الله عليهم[5].

وهذا الكلام يُجسّد مدى خطورة المنافقين على الاسلام .

---

[1]-سورة (الاحزاب): الآية ١٣.

[2]-ينظر: تفسير القرآن: عبدالرزاق بن همّام الصنعاني (ت ٢١١) تح: مصطفى مسلم محمد ،ط ١، مكتبة الرشد، الرياض،١٤١٠هـ، ١١٤/٣

[3]-ينظر: أسباب نزول الآيات: ابو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨)، مؤسسة الحلبي وشركاه،القاهرة ،١٣٨٨هـ ، ص ٦٣

[4]-سورة (آل عمران): من الآية ٧.

[5]-ينظر: جامع البيان : ٣/ ٢٤١.

ثامناً: خذلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد عندما انصرفوا مع كبيرهم المنافق عبدالله بن أبي عن ساحة المعركة[١]، وبسبب وصمة عارهم هذه مع غيرها من الأسباب لم يبق مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام والزبير وطلحة ولم يكتفوا بذلك أيضاً بل اشاعوا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قُتل ! [٢].

واستمرت حركتهم الخبيثة هذه حتى بعد معركة احد إذ أخذوا عند بكاء المسلمين بالمكر والتفريق عن رسول الله صلى الله عليهه وآل وسلم وتحزين المسلمين ، وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل، فقالت اليهود: لو كان نبيّاً ماظهروا عليه ولا اصيب منه ماأصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقد عاضدهم المنافقون بذلك قائلين: لو كنتم اطعتمون- والكلام للمسلمين- ماصابكم الذين اصابوا منكم ، فأنزل الله تعالى من القرآن الكريم في طاعة من اطاع ونفاق من نافق[٣].

اضافة الى علاقتهم القوية المستمرة آنذاك باليهود ومما يدل على ذلك، ماجاء في احد كتب التفسير ان أهل النفاق سمّاعون لليهود[٤]، ويسارعون مصانعتهم وملاحاتهم واسترضاعهم اولادهم، يقولون: نخشى ان تصيبنا دائرة ، ان تكون الدائرة لليهود فعسى الله ان يأتي بالفتح، يعني حينئذ[٥].

---

[١]-ينظر: جامع البيان: ١٠/١٨٩.

[٢]-ينظر: تاريخ اليعقوبي: احمد بن يعقوب بن جعفر(ت ٢٨٤هـ)، مؤسسة ونشر: فرهنك أهل البيت عليهم السلام، قم (د .ت)، ٢/٤٧ .

[٣]-ينظر: البداية والنهاية: ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤) تح : علي شيري .ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ٤/٥٥ .

[٤]-ينظر: تفسير مجاهد : ابن المصباح مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٤هـ) تح : عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، مجمع البحوث الأسلاميه،اسلام آباد ، (د . ت) ،١/١٩٥-١٩٦.

[٥]-ينظر: م ، ن: ١ /١٩٨-١٩٩.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى:(ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون)[١]،(هم اليهود تولاهم المنافقون)[٢]، وليس اليهود فقط بل تعدّوا الى موالاة الكفار وتعظيمهم.[٣]

وبعد كل ماتقدم نلاحظ مدى تكثيف وتجذّر جبهة الباطل ضد الإسلام حيث كانت الحرب عليه متشكلة بأشكال مختلفة منها عصبة المنافقين .

---

[١]- سورة المجادلة : الآية ١٤.

[٢]- تفسير القرآن : ج٣/٢٨٠.

[٣]- ينظر : أحكام القرآن : ابوبكر احمد بن علي الرازي الجصاص (ت.٣٧٠هـ) ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١١٤/٣.

الفصل الأول

النفاق في لفظه الصريح

المبحث الأول - النفاق في بذوره الأولى

المبحث الثاني - مرض النفاق في الأخلاق والآداب

المبحث الأول

النفاق في بذوره الأولى

يود الباحث أن يستعرض للقارئ بعض ما ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بخصوص ظاهرة النفاق والمنافقين، وتحديداً فيما يتعلق ببداية نشوء هذه الظاهرة في جسد الاسلام الطاهر، على أن تكون خطوات البحث مقتصرة على الجانب البلاغي في آلية البحث وفيها تأكيد على دور القصدية من خلال الكشف عن كيفية اختياره (صلى الله عليه وآله وسلم) للمفردة بالشكل الذي خرجت فيه وتوظيفها للغرض البلاغي مع ضياء البيان الذي ترصّع جراء ذلك في حلة النظم النبوي الشريف.

وأول ما نبدا به من هذه الأحاديث الشريفة، ما صرح به (صلى الله عليه وآله وسلم) بضرورة حب أهل بيته صلى الله عليهم أجمعين وبالخصوص حب أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومدى خطورة بغضهم وعدائهم، حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يحب علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن)[1]، ففي النص الشريف من البلاغة ما تكثف معناه وقل مبناه كما نلاحظ، ومن جملة ما فيه، فن التقابل الثنائي في الحديث الشريف بشكل يعجز عن أدائه القلم والذي خرج بايجاز لا يرقى لسمائه صوت خطيب ولا لحروفه قلم أديب، فالتقابل الذي تمثل في قوله (منافق) و(مؤمن) وكذلك في (يحب) و(يبغضه) لم يكن عن زينة وصبغة وزيادة كما ذهب لذلك جملة من البلاغين والأدباء القدامى، إذ يكاد يتوحد رأيهم على ان المحسِّنات البديعية انما جاءت كي تحسِّن الكلام وتضفي عليه زينة ورونق، فهي –برأي أكثرهم– شيء عرضيٌ، ليس من صميم الكلام، كالصبغ للجدار أو باقة الزهر للغرفة[2]، والباحث مؤمن بأن ما في الحديث الشريف وغيره من محسنات هي من صميم الابداع والأصالة ومتوافقة مع ما يتطلبه المقام، وليس مثل أفصح العرب يكون في بيانه زيادة أو فضلة، فالنص يصور للمتلقي

---

[1]– سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ ، الحديث رقم (٣٨٠١) ، ج ٥ /٢٩٩.

[2]– ينظر: المحسنات البديعية بين الصبغ والوظيفة د. قصي سالم علوان ، بحث في مجلة الفكر العربي ، العدد ٤٦، السنة الثامنة ، العراق ، ١٩٨٧م ،ص ٤٢.

من خلال هذا التركيب البديعي مركزية علي عليه السلام في دائرة الاسلام من بعده (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعلي مقياس يعرف منه المؤمن من المنافق.

ولا يفوت الباحث ما تضمنه الحديث من (ايجاز قصر) انطوت في طياته كل الكلمات والمعاني في شأن الامام عليه السلام، وكأن خطباً عظيماً اختزلت في هذا الايجاز الواضح المنيع.

وربما من القصدية والمناسبة للمقام ابتداؤه –علية وآله الصلاة والسلام– بذكر المنافق وتقديمه على ذكر المؤمن، فإن هذا ليس من عبث أو درج في القول إذ لعل في ذكر المنافق بداية فوائد منها: تبيان كون علي والمنافقين خطين لا يتقابلان ولا ينسجمان أبداً، وقد يكون ذلك من اهتمامه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعرض بغض المنافقين لعلي عليه السلام.

ومن بلاغة النص الشريف جمالية فن الوصل الذي جمع بين معنيين مختلفين بين الجملتين، وذلك لأن بلاغة الوصل وجماليته تكمن في الجمع بين المعاني المختلفة فيما بين الجمل وذلك للربط فيما بينها.

ولم ينته الكلام في هذا الابداع المحمدي العظيم، فهنالك حقيقة أخرى بينها –عليه وآله السلام– في أحاديث أخر هي من هذه الواحة نفسها المثمرة بالمحسِّنات الجميلة، والتي منها: حب الأنصار وبغضهم، حيث ورد عنه –صلى الله علية وآله– (لا تحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم فأحبه الله، ومن أبغضهم فأبغضه الله)[1]، فهنا نلمس فضيلة هذه الفئة من المسلمين من خلال أسلوب بلاغي اعتمد النفي والاستثناء مرتين في النص

ويبدو ان التوكيد على حب الأنصار في الحديث الشريف قوي لدرجة معاضدة ما تقدم من النص بالإطناب الذي مثله قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أحبهم فأحبه الله ومن أبغضهم فأبغضه الله) والذي تضمن – بدوره– تقابلاً مثله قوله :(أحبهم) و(أبغضهم) و(أحبه) و(أبغضه) ، (فالتقابل أحد أهم المستويات التي تعامل المبدع في منظومته الفكرية في سبيل

[1]– سنن الترمذي (ت ٢٧٩): الحديث رقم: (٣٩٩٠)، ج٥، ٣٧١.

ايصال المعلومة ومن ثم تركيزها في ذهن المتلقي، وهذا نمط يحتاج معه المبدع إلى توظيف التقابل بانماطه ومستوياته المختلفة والمتشعبة)[1].

وإذا ما تنقلنا في أجواء رواية : (آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار)[2]، لوجدنا انها تقابلت بأروع تقابل في قوله: (الايمان، النفاق) وقوله: (حب) ، بغض) ، وقد تناغمت منسجمة كل الانسجام بشكل تركيبي رائع، فالحديث كله عبارة عن سلسلة من أربع حلقات هي مضاف ومضاف اليه وهكذا.

وأما صاحب مصنف (فيض القدير شرح الجامع الصغير) فيرى في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وآية النفاق) بالمعنى الخاص (بغض الأنصار) ان النبي- صلى الله علية وآله- صرح به مع فهمه من خلال ما قبله وذلك لاقتضاء المقام التأكيد ولم يقابل الايمان بالكفر والذي هو ضده؛لأن الكلام فيمن ظاهره الايمان وباطنه الكفر فيميزه عن ذوي الايمان الحقيقي، إذ لم يقل –صلى الله علية وآله- آية الكفر لكون المنافق غير كافر ظاهراً[3].

وقد أيد ذلك الكرماني في شرحه لصحيح البخاري إذ لم يختلف عن التحليل السابق حيث ذكر ما مضمونه ان هنالك فائدة في تصريحه (صلى الله عليه وآله وسلم) وتشهيره بالمنافقين من باب التأكيد وان المقام يقتضي ذلك لأن المراد من الحديث –بحسب رأيه- الحث على حب الأنصار وبيان فضلهم لما كان منهم من بذل وعطاء وإثرة بالغالي والنفيس[4].

---

(1)- الأشكال البديعية في خطاب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في كتاب (الأصول من الكافي) للكليني، اطروحة دكتوراه : حيدر برزان سكران، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٤٦.

(2)- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، طبعت بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول ،دار الفكر، بيروت.(١٤٠١ هـ) ،ج ١/ ١٠ .

(3)- ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبد الرؤوف المناوي، (ت ١٣٣١ هـ)، تحقيق: أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ،ج١/ ٨٢ – ٨٣ .

(4)- ينظر: صحيح البخاري بشرح الكرماني: شمس الدين الكرماني، خرّج أحاديثه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ج١/ ١٥٨.

ومع التمعن في رواية (آية المنافق بغض الأنصار وآية المؤمن حب الأنصار)[1]، يشعر الباحث بأن المراد هنا فيه من الاختلاف عن الحديث السابق ما اقتضاه المقام أيضاً، إذ يبدو ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تصديره للمنافق يريد الاهتمام بعرض صورته والتشهير به، لا ان المنافق مفضل على المؤمن أن تقدم عليه، هذا كاحتمال، والاحتمال الثاني: ان تكرار الحديث نفسه مع كل مناسبة يدعو المتلقي إلى السآمة والملل، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يكرر ما تشابه من الأحاديث معنى لكن باختلاف لفظي وليس هذا إلا عن فطنة ودراية بما يتطلبه المقام.

ولتبيان ما يؤدية (مقتضى الحال) من دور في البلاغة، على الباحث أن يستعرض رواية: (حب الأنصار آية الايمان وبغضهم آية النفاق)[2]، لكي نلاحظ اسلوب التقديم الذي لم يكن حشواً في تراث سيد الفصاحة والبلاغة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهنا كان الاهتمام بقضية حب الانصار له من الأهمية ما تطلب أن يبتدئ النبي بذكره بكلا طرفي النص أي بحبهم وبغضهم، إذ ربما كان من بعض العقليات المتخلفة من أنكر على هذه الفئة المؤمنة كل هذا التركيز والاهتمام فغير (صلى الله عليه وآله وسلم) في نظم النص وقد تطلب المقام ذلك[3].

ومما ورد عن النبي الأكرم –صلى الله عليه واله–: (في أمتي أثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم)[4]، وهذا شاهد آخر على تصدي النبي الحاسم للمنافقين الأوائل في حركة التاريخ الاسلامي والدعوة الاسلامية ولكن بصورة اقتضت فيها

---

(١)– صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، دار الفكر، بيروت،(د.ت)،٦٠/١ .

(٢)– م، ن، ٦/١

(٣)– وايضاً في سنن النسائي ورد (حب الأنصار آية الايمان وبغض الأنصار آية النفاق) سنن النسائي: أحمد بن شعيب، (ت ٣٠٣ هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت،١٣٤٨هـ/١٩٣٠م،١١٦/٨، وكذلك ورد النص باختلاف في صحيح البخاري: (الانصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق) في ج٤، ص٢٢٣.

(٤)– صحيح مسلم: ج٨، ١٢٣.

المصلحة أن لا تكون مباشرة مع هؤلاء، وبحكمة نبوية خرجت كلمات الحديث الشريف بهذا الشكل الذي يريد الباحث أن يتوسع فيه بلاغياً من عدة جوانب:

الجانب الأول: ابتداء الحديث بجملة خبرية هي (في أمتي اثنا عشر منافقاً) وربما كان الغرض من طرحها التنبيه والتحذير معاً.

الجانب الثاني: تضمن النص لفن الإطناب في الزيادة على هذه الجملة في قوله: "لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها..." فهذا الإطناب انسجم في النص بشكل منيع رصين، وهذا ما لا يتمكن منه كل قائل، كما ان الإطناب في هذا الحديث الشريف انطوى على أكثر من فن بلاغي، مثل:

أولاً: روعة توظيف فن الاقتباس الذي انسجم بكل جمال وذوق في النص وذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "...حتى يلج الجمل في سم الخياط..."، من قول الله عز وجل: (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)[1].

واللافت للانتباه، ان الجملة المقتبسة أدت فن الاقتباس وفن الكناية في آن واحد، ذلك ان هذا التعبير لا شك هو كناية عن عدم دخولهم الجنة البتة.

ثانياً: احتوى الشاهد الشريف على فن (الفصل) حيث فصلت جملة (سراج من النار)عن جملة (ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة) ؛ وذلك (لشبة كمال الاتصال) بين الجملتين؛ لأن جملة (سراج من النار) جواب عن سؤال دار في ذهن السامع فأجاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن السؤال دون ان يطرح ،وكذلك فإن جملة (سراج من النار) قررت المعنى في ذهن الملتقي؛ لأنها معدودة عند اهل البلاغة من (الإطناب) الذي يفرع الى (ايضاح بعد ابهام) اي ان الإبهام الذي تولد من قولة علية واله السلام (الدبيلة) أوضحة قوله :(سراج من النار) .

---

[1]- سورة الاعراف،من الآية: ٤٠.

وعن جابر بن عبدالله الانصاري ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد تدفن الراكب فروى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:"بعثت هذه الريح لموت منافق"[1]، فهنا نلاحظ مدى خطورة المنافق على المجتمع الاسلامي وغيره أن يصل الأمر في سوء عاقبة هذا المنافق لأن يبعث الله ريحاً فتهلكه فيرتاح منه العباد والبلاد!...، وبلاغة ففي النص الشريف وردت لفظة (الريح) التي تناسبت مع العقوبة كل المناسبة، لأن الريح تطلق للعذاب بينما الرياح تكون للرحمة والخير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد دل سياق الحديث على غموض عنوان المنافق فكأن هذا التنكير وعدم التصريح به صور احتقار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) للمنافق على ما يبدو، على أن لا ننسى كون الحديث شكل جملة خبرية لعله يراد منها التنبيه.

وعن جابر بن عبد الله قال: -كنا في غزاة- قال سفيان: مرّ في جيش- فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمع بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: "ما بال دعوى جاهلية" قالوا: يا رسول الله كسعَ[2] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: "دعوها فإنها منتنة"، فسمع بذلك (عبد الله بن أبيْ) فقال: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعز منها الأذل، فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: (دعه لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه ...)[3]، وقد لاحظ الباحث ان في النص الشريف أكثر من فن بلاغي مثل:

---

(١)- ينظر : صحيح مسلم: ج٨/ ١٢٤.

(٢)- كسعَ: أي ضرب دبره بيده، جاء هذا المعنى في النهاية في غريب الحديث لابن الأثر، (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي،ط٤، مؤسسة اسماعيليان، قم، ايران، ١٣٦٤ش،١٧٣/٤.

(٣)- صحيح البخاري: ج٦/ ٦٥ وفي ج٤ من صحيح البخاري ص١٦٠ ورد الخبر باختلاف قليل (... ما بال دعوى أهل الجاهلية ... دعوها فإنها خبيثة...)، وأما في صحيح مسلم، في ج٨، ص١٩ (...ما بال دعوى الجاهلية...).

أولاً: الصورة المجازية التي جسدتها الجملة الطلبية (دعوها فإنها منتنة) فمن خلال توظيف لفظة (منتنة) في النص يشعر الباحث بوجود (التشبية البيلغ) للتعبير عن هذه الفتنة وكأنها جيفة قذرة تنتن من يتعاطاها ويلازمها.

ثانياً: توظيف الفصل في قوله: (دعه، لا يتحدث...) ولعله من شبه كمال الاتصال بين الجملتين وكأن الثانية جواب عن سؤال في ذهن السامع،

ثالثاً: احتواء النص على الاكتفاء أو ما تعارف عليه في البلاغة (بالحذف) والذي تقديره ("لأنَ" لا يتحدث...)، وما له من دور بلاغي في تأدية المعنى بعمق، فألجملة العربية (المكتفية) أو (المقتصرة) دلالتها الخاصة.[1]

وأما في استنطاقه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما سيقوله الناس في جملة (ان محمداً يقتل أصحابه) فإن في توظيفها مطابقة وتأثير في زجر المسلمين عن هذه الفتنة أكثر مما لو انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا يتحدث الناس عنا بالسوء –مثلاً–.

وكذلك في احتواء الجملة على التوكيد بالحرف (ان محمداً...) إحالة إلى صورة الاستغراب، استغراب الأعداء وأهل الجاهلية من أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لو أنه أمر بقتل المنافق.

[1]– ينظر: دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية (دراسة نقدية للقول بالحذف والتقدير)د. علي عبد الفتاح محي ط١،، ديوان الوقف الشيعي ، المركز الوطني لعلوم القرآن، بغداد ،١٤٣١هـ/٢٠١٠، ص٨٤.

المبحث الثاني

مرض النفاق في الأخلاق والآداب

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: (وانك لعلى خلق عظيم)[1]، لا شك ان الأخلاق الكريمة الحميدة هي الدعامة القوية التي يجب أن يرتكز عليها مشروع الاسلام الشريف، وفي هذا الصدد روي عن نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2]، وهنا يريد الباحث أن يتناول جملة من النصوص النبوية الشريفة التي كان لها الشهرة والملازمة الذهنية –ان صح التعبير– مع ظاهرة النفاق والمنافقين بشكل أكبر وأوسع من غيرها، التي من خلال كلماتها نرى روعة البلاغة النبويه في وصف هذا المرض.

فقد روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان)[3].

وهنا قبل الشروع في تحليل النص بلاغيا، يفضل أن نستعرض بعض ما ذكره شرّاح الحديث، إذ يقول الكرماني في شرحه لصحيح البخاري: (وإنما خصص الثلاثة بالذكر لأنها مشتملة على المخالفة التي عليها مبني النفاق من مخالفة السر العلن)[4]، وقال الطيبي في المصدر نفسه: (الإتيان بالجملة الشرطية مقارنة بـــ إذا الدالة على تحقق الوقوع يدل على ان هذه عادتهم، ...)[5].

وفي مصنف (الأدب النبوي) جاء ما نصه: (... وليس الغرض من ذكر هذه الصفات حصر آيات النفاق فيها فإنها كثيرة كالفجور في المخاصمة، وإنما الغرض التنبيه إلى اصلها إذ التدين ينحصر أصله في ثلاثة: القول والعمل والنية، فنبه إلى فساد القول بالكذب، والى

---

[1]– سورة القلم، الآية ٤.

[2]– تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي: المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـــ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـــ، ٥/٤٧٠.

[3]– سنن الترمذي: الحديث رقم (٢٧٦٦)/ ج٤/ ١٣٠.

[4]–صحيح البخاري بشرح الكرماني: ج١/ ٢٠٥.

[5]– م،ن، ١/٢٠٥.

فساد الفعل بالخيانة والى فساد النية بالإخلاف لأن الإخلاف القادح ما كان العزم عليه مقارناً للوعد)[1].

وبعد هذا كله يود الباحث أن يستعرض الأمور الأتية:

أولاً :الحديث كله عبارة عن اجمال وتفصيل ،فالأجمال متمثل في قولة صلى الله عليه وآله :(اية المنافق ثلاث)،والتفصل في الجمل المتصدرة بـــ اذا (الجمل الثلاث).

ثانياً: نلاحظ في النص تقابلاً ثنائياً بوصفه نوعاً من أنواع المحسنات البديعية وذلك في قوله: (وعَدَ) و(اخلف)، فمع انسجام ذلك في حُلة النص الشريف ازدادت الفصاحة عظمة دون أن يكون ذلك زيادة أو فضلة كما نظراً جملة من البلاغيين القدامى لهذا الفن من البلاغة.

ثالثاً: وفي النص اكتفاء (حذف) في قوله: (ثلاث) وربما يقدر بـــ: آية المنافق ثلاث (خصال)، وكذلك في قوله (أخلف) وتقديره: وإذا وعد أخلف (الوعد). وفي قوله: (خان) وتقديره: وإذا أؤتمن خان (الأمانة) إذ توظف هذا الاكتفاء في اعطاء المعنى بشكل رصين متماسك لا يشوبه الخلل أو الحشو مما يجعل المتلقي في استقباله هذه الكلمات ما يلبث أن ينقشها في ذهنه متعجباً ومنبهراً في معناها ومبناها معاً، من جهة، ومن جهة أخرى فإننا مع هذا الاكتفاء سرعان ما نتذكر صفة جوامع الكلم التي تميز بها الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[2].

وقد حلل الدكتور محمد بيومي حديث آية المنافق بصورة فنية كانت غاية في الروعة فهو يرى ان تقدم العدد في الحديث الشريف فيه دلالة تأثيرية فنية هي المقصودة من الاسلوب الأدبي؛ لأن السامع حين يتلقى لأول وهلة قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (آية المنافق ثلاث...) لا ينصرف ذهنه إلى ان للمنافق أكثر من عشرين صفة يمكن

---

[1]- الأدب النبوي: محمد عبد العزيز الخولي، دار الفكر،بيروت،(د.ت)، ص١٦- ١٧.

[2]- وأما في صحيح البخاري ج٣، ص١٦٢: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وإذا وعد أخلف)، والخبر نفسه في ص١٨٩ من المجلد نفسه.

إحصاؤها بسهولة، ولكنه يتتبع الأمور الثلاثة المنصوص عليها في يقظة وحرص محاذراً أن يكون على شيء منها، وكأن هذه الثلاث تسد عليه الأفق فإذا وجد منها انفلاتاً، فقد استراح، وإذا وقف أمام بعض أبوابها فإنه ليجتهد أن يدفعه عن وجهه، وهذا هو التأثير الجاذب لسطوة العدد حين يلقى في مفتتح الحديث، فهو لا محالة نوع من التحديد الفني[1]، وعلى الرغم من ان الكاتب ابتعد نوعاً ما عن مصطلحات البلاغة إلا ان ما بيّنه مرتبط بلاغياً بالقصدية والمطابقة لمقتضى الحال، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد شد انتباه المتلقي نحو علامات النفاق بالشكل المناسب، كما وان النفس عندما يطالعها هذا الجمال والسحر وتتأمله، وتشعر بأنه قد جمع لها معانٍ متعددة حصرت في كلمات قليلة، تستطيع أن تستوعبها بيسر وسهولة؛ وذلك لوضوح الرؤية وحسن دلالة الألفاظ[2].

وفي راوية أخرى من صحيح مسلم: (آية المنافق ثلاث وأن صام وصلى وزعم انه مسلم)[3]، فإن كان هذا النص قد صدر من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط بهذه الكلمات لا زيادة فهنا يحتمل الباحث صدوره متأخراً عن النص المتقدم وهذا بدوره يحيل –بلاغياً– إلى فن الايجاز الذي تضمن المجاز في قوله: وإن صام وصلى من باب ذكر البعض ويراد الكل فهو منافق وإن زكى وان حج وان تصدق ولكن البلاغة النبوية اختزلت كل ذلك بكلمتين، وتضمن كذلك التوكيد في قوله (وزعم انه مسلم) فإن البحث يحتمل التوكيد في هذه الجملة الخبرية فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يرسخ في الأذهان بيان هذه الخصال الثلاث من خلال الجملة الأخيرة.

وجاء في صحيح البخاري ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن

---

(1)– ينظر: البلاغة النبوية: د. محمد رجب البيومي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨، ص٢٣٣–٢٣٤.

(2)– ينظر: البلاغة النبوية، ص١٥٢.

(3)– صحيح مسلم: ج١/ ٥٦.

خان وإذا حدث كذب وأذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)[1]. فقد شرح مصنف (الأدب النبوي) هذا المعنى حيث قال: (بيّن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان من وجدت فيه أربع خصال كان منافقاً خالصاً ومن وجد فيه بعضها كان لديه من النفاق بقدر ما وجد فيه، وتلك الخصال هي خيانة الأمانة، والكذب في الحديث، والغدر في المعاهدة، والفجور في المخاصمة،...)[2]. ثم يسترسل فيقول: (أما الكذب في الحديث فإنه أُسّ النفاق والقاضي على الأخلاق، وهو داع لاحتقار صاحبه، وعدم الثقة به في شأن من الشؤون، وصاحبه لبّاس على الناس غاش لهم، والكذاب في الحقيقة ميت بين الأحياء)[3].

وأما التحليل البلاغي لهذا النص الشريف فهو كما يأتي:

أولاً: يلاحظ في النص التركيز والاهتمام في طرح هذه الخصال الأربع التي تميز المنافق وكانت آلية هذا التركيز من خلال اسلوب التقديم والتأخير، حيث قدم (صلى الله عليه وآله وسلم) قول أربع على (من كن فيه) ولابد من احتواء ذلك على فوائد لعل منها تشويق السامع لسماع الخبر.

ثانيا: ومن ملامح التوكيد في النص اسلوب التقديم والتأخير في خبر كان مرتين في السياق، في قوله : (ومن كان "فيه" خلة منهن، كانت "فيه" خلة من النفاق).

ثالثاً: ويؤازر ذلك تضمن النص لفن السجع في قوله (غدر) وقوله (فجر).

رابعاً: ومن بلاغة النص وروعته توظيف الاكتفاء في النص في قوله (أربعٌ) والتقدير: (أربع خصال).

---

(1)- صحيح البخاري: ج١/ ١٤. وفي رواية أخرى: ((أربع من كن فيه فهو منافق خالص، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها)) والنص هذا ورد في سنن ابي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت ٢٧٥ه)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، بيروت،١٤١٠ه/ ١٩٩٠م،٤٠٩/٢، وأما في سنن= =الترمذي، ج٤، ص١٣٠ فقد اختلف الحديث بالشكل الأتي: (أربع من كن فيه كان منافقاً وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب...).

(2)- الأدب النبوي، ص١٤.

(3)- م. ن، ص١٥.

وفي رواية: (اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)[1]، وفي هذا النص الشريف نلمس البلاغة كما يأتي:

أولاً: احتمالية تضمن دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) واستعاذته من هذه الأمراض (التعريض) بالمنافقين وكذلك (التنبيه) لخطورة آفة النفاق والشقاق وسوء الخلق ومع صحة غرض التنبيه تكون الجملة انشائية اللفظ خبرية المعنى.

ثانياً: يلاحظ في الحديث الشريف احتواؤه على فن لزوم مالا يلزم ، حيث التزم صلى الله عليه وآله حرف الالف قبل الصوت الانفجاري (القاف) في قوله:(... الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق) .

ثالثاً: يلاحظ التركيز والاهتمام في تجنب هذه الآفات الفاسدة من خلال قصدية توظيف أداة النداء (اللهم) وارادفها بالتوكيد بالحرف المشبه بالفعل (إنّ)، فالمتلقي عندما يسمعه (صلى الله عليه وآله وسلم) يختار هذه الألفاظ لا شك يقشعر ويتوقف ويتأمل في خطورة آفة النفاق وسوء الأخلاق والشقاق.

رابعاً: انسجام النص من خلال وصله بالواو في (الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق) حيث تطلب التناسب بين الكلمات والتوافق هذا الوصل.

خامساً: القصد في ايراد الفعل (أعوذ) مضارعاً بدلاً من (عذتُ بك)، إشعاراً بضرورة استعاذة المسلمين دوماً ومجدداً من هذه الصفات الخبيثة.

ان نسق البلاغة النبوية ينماز في جملته بأنه ليس من شيء أنت واجده في كلام الفصحاء –وهو معدود من ضروب الفصاحة ومتعلقاتها– إلا وجدته في هذا النسق على مقدار من الاعتبار يفرده بالميزة، ويخصه بالفضيلة؛ لأن كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) في باب التمكين لا يعدله شيء من كلام الفصحاء، فلا تلمح في أي جهة من جهاته ثلمةً يقتحم عليه الرأي منها وتنساب فيها الكلمات التي هي من لغة النقد والتزييف أو بعض هذه

---

[1]– سنن ابي داود (ت٢٧٥): ٣٤٥/١، والخبر نفسه ورد في سنن النسائي (ت٣٠٣) :٢٦٤/٨.

الكلمات، أو أضعف ما يكون من بعضها، إذ هو مبني على ثلاثة: الخلوص، والقصد والاستيفاء[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: (يميز الله أولياءه وأصفياءه حتى تطهر الأرض من المنافقين والضالين وأبناء الضالين، ....)[2]، والمتأمل للحديث الشريف قد يلاحظ فيه روعة توظيف الفعل المضارع (يميز) فيما ينسجم مع غرض (المطابقة) أحد ركني فن البلاغة كل الانسجام؛ حيث ان الصورة تفضي إلى حقيقة استمرار وتجدد تمحيص المولى عز وجل في العباد، إذاً فعملية التمييز والتطهير مستمرة ومستمرة حتى تنقى الأرض من شوائب ودغل النفاق والضلالة هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد فن الازدواج في الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(... أولياءه وأصفياءه) فالمفردتان متفقتان في الوزن والروي .

وهنالك من الأحاديث الشريفة التي ربطت في تراكيبها بين أهل النفاق والأعور الدجال الذي استفاضت بذكره وتصويره النصوص الشريفة في كتب الحديث النبوي الشريف، ويبدو ان الصلة بين الصنفين لها من الوثاقة والارتباط ما يسمح بالتقديم الآتي:

لقد وردت كلمة (الدجل) في اللغة بالشكل الذي يؤكد ويؤيد ما يريده البحث، فالدّجْل – بتسكين الجيم–: تمويه الشيء، وسمي الكذاب دجالاً منه، ... فالدجال المموه[3].

وأما (النفاق) لغةً، فقد تقدم توضيح معناه بشكل مفصل في بداية البحث، إذ لم يكن ببعيد عما تقدم ذكره للمعنى اللغوي للدجال.

فالمنافق (يتستر باسم الدين ويتلبس بزي الروحانيين والقديسين، ويتحدث عن العدل والانصاف والحرية و(الديمقراطية) كل هذا وغيره حبر على ورق وقشر بلا لب، وكلمات جوفاء مفرغة يراد بها خداع الآخرين وتحقيق المصالح والمنافع الخاصة الشخصية الدنيوية،

---

[1]– ينظر: اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م،ص ٢٢٩.

[2]– ألأمالي: الشيخ المفيد (قدس سره)،(ت٤١٣هـ) تحقيق: حسين استاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، نشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ، (د.ت)،ص ١٤٤.

[3]– ينظر مجمل اللغة: ابن فارس،(ت٣٩٥هـ) راجعه ودقق أصوله: محمد طعمة، ط١،دار احياء التراث العربي ، بيروت،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥،مادة(دَجَل)،ص٢٢٧.

وبهذا النفاق يستحق صاحبه النقمة واللعنة والضلالة بمبايعة ومتابعة الدجال الاعور المنافق الأكبر)[1].

ففي هذا الخصوص ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقبٌ إلا عليه الملائكة صافين تحرسوها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق)[2]، فقد تناول القدامى بعض هذا المعنى بالشكل التالي: قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال) هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور إلا ابن حزم شذ في رأيه فقال: المراد الا يدخله بعثه وجنوده، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته وغفل عما ثبت في صحيح مسلم ان بعض أيامه يكون قدر السنة[3].

وأما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثم ترجف المدينة) أي: يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال[4].

وأما الباحث فقد لاحظ في مستهل الحديث الشريف دلالة توكيدية تجسدت من خلال اسلوب القصر بالنفي وإلا، وذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليس من بلد إلا...)، وقد تآزر في أداء ذلك توظيف حرف التوكيد (من) في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (من بلد)، ثم يأتي في مصاف ذلك حرف الاستقبال القريب في (سيطؤه...)، ما جعل اللوحة البلاغية من كل هذه التراكيب صارخة بتركيز المعنى وشدة خطورة الأمر وسرعة حلوله.

---

(1)- الدجال ، بحث عقائدي: سماحة آية الله العظمى السيد الحسني الصرخي (دام ظله)، ط3، العراق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥، ص٨٤.

(2)- صحيح البخاري: ج٢/ ٢٢٣.

(3)-ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: إبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ ه)، ط٢، ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،(د.ت)،٨٢/٤

(4)- م. ن،٨٢/٤.

وأما البلاغة المستوحاة من قوله: (ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافّين يحرسونها...) فنلاحظ مجددا عودة اسلوب القصر بالنفي والاستثناء وبشكل لم يحدث معه أي خلل على اعتبار تكرر الاسلوب مرتين في النص، وهنا يلمس الباحث صورة بلاغية غاية في الروعة، هي: ان هذا العملاق المتسلط كان له من السطوة والهيمنة ما أدى إلى أن لا يسلم منه شبر من الأرض، وقد جسد ذلك اسلوب القصر التوكيدي والمتضمن حرف التوكيد (مِن)، إلا انه بالرغم من هذه القوة والسيطرة كان بينه وبين البقعتين المباركتين المقدستين مكة والمدينة ردماً منيعاً، لا يقدر أبداً النفاذ منه اليهما، ذلك ان مكة والمدينة لهما من القداسة والشرف ما يمنع أي شر من اختراقهما، وكان ذلك متجسداً من خلال التوكيد الثاني، فالصورة في مخيلة الباحث إجمالاً هي كما يأتي: صورة القوة والسيطرة لذلك الشيطان الأكبر والذي جسد تلك الصورة التوكيد الاول في النص وصورة الضعف والعجز لذلك الدجال المنافق الاعور والتي مثلها التوكيد الثاني.

وكذلك فإن النص تضمن فن الكناية في قوله: (ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات...) فيما يبدو، ذلك انه قد يكون لهذه الرجفة معنى آخر كالغربلة والتمحيص يقعان في المدينة ومكة من أجل اخراج ما فيهما من منافقين وضالين مضلين كي يلتحقوا بالأعور الدجال، ولعل رواية: (المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها)[1] مؤيدٌ وقرينةٌ لاحتمالية الكناية هذه.

وأما في صحيح مسلم فالرواية كما يأتي: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق)[2]، إذ يبدو ان المقام هنا تطلب تغيير بعض الألفاظ في النص ولعل وراء ذلك دفع الملل، والانتباه لسماع الخبر وقد تطلب الأمر تكراره.

---

[1]- صحيح البخاري: ج٢/ ٢٢٣.

[2]- صحيح مسلم: ج٨/ ٢٠٦.

ثم نلاحظ بلاغة وجمالاً آخر في رواية: "تجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج اليه كل كافر ومنافق"[1]، ففي هذا النص بداية تأخذ بأذهان وقلوب المتلقين نظراً لاختياره (صلى الله عليه وآله وسلم) الفعل المضارع (يجيء) ومؤازرته بـــ(حتى ينزل في ناحية المدينة) فالصورة المستوحاة في ذلك تحيل المتلقي لاستمرارية زحف الشر ومعسكره فيقترب من مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكأنه يكاد يدخلها إلا ان المعادل والموازن لذلك من ردة فعل هو التحاق المفسدين والمنافقين به وبركبه من خلال اختتام النص بفعل مضارع أيضاً هو (يخرج) في قوله: (فيخرج اليه كل كافر ومنافق)، ولأن الكلام في فنون البلاغة وركنيها (المطابقة والفصاحة)، فإنا نلاحظ عدم سماح الصورة والمعنى لقبول أي تشوه أو فطور، ذلك أن الفعل تكرر أكثر من مرة، فمن أدلة ذلك ان النص الأول لم ترد فيه شبه الجملة من الجار والمجرور (إليه)، حيث انه قال: (... فيخرج الله كل كافر ومنافق) بدون (إليه)، ولم يكن ذلك –كما أسلف البحث– عن قصور، لان المعنى في الحديث الأول تشبع بملامح التوكيد وكأن الصورة أصبحت غير قابلة للزيادة في المبنى أو لنقل بالتنوعات التوكيدية لئلا يطالها التشويه والفطور، حيث ان السامع لا يحتاج إلى قرينة تدل مع ما تقدم إلى مصير خروج المنافق، هذا في النص الأول، وأما الثاني: فقد لاحظ البحث ان معالم التوكيد كانت بشكل أقل كثافة من معالم الصورة الأولى ما دعا لإيراد اسلوب التقديم والتأخير في هذه اللوحة أعني قوله: (فيخرج "إليه" كل كافر...) وكأن في إيراده (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا التقديم والتأخير معادلاً لدلالة التوكيد في الحديث الأول ولكن المقام اقتضى أن يخرج النص الأول كما خرج وأن يخرج الثاني كما خرج أيضاً.

ومع رواية (... فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه... فيخرج اليه كل منافق ومنافقة)[2]، نلاحظ أكثر من جانب:

---

[1]– صحيح البخاري: ج٨/ ١٠٢.

[2]– صحيح مسلم: ج٨/ ٢٠٧.

الجانب الأول: قصدية ورود الفاء التي تلازمت مع الأفعال المضارعة (يأتي، يضرب، يخرج)، ثلاث مرات وكأن لهذا دوراً توكيدياً باسلوب مغاير للاسلوبين السابقين، من جهة، ومن جهة أخرى، نلاحظ مجدداً عدم قبول الحديث عندما تكررت فيه الفاء للركاكة والضعف.

وكذلك نلاحظ في تكرار الفاء المتلازمة مع الأفعال المضارعة الثلاثة ومع تآزر التقديم والتأخير معها ثانية، نلاحظ صورة مؤكدة مليئة بالحركية والتجدد، وكأن هذا الدجال لا ينفك يريد المدينة المنورة.

الجانب الثاني: خروج المنافق إلى أحضان هذا الغول وبشكل تأكد بإيراد جنسي أهل النفاق أي كل منافق ومنافقة مع ان الأحاديث السابقة لا يعقل أنها قصدت المنافق الرجل فقط، إلا ان دور القصدية التي مثلها التوكيد كان متطلباً لشكل ولون توكيدي آخر من خلال ذلك التفصيل من جهة، ولعل المراد في هذا النص هو التركيز على المنافق خاصة من جهة أخرى، ذلك ان الحديثين السابقين شملا المنافق والكافر.

الجانب الثالث: يلمس البحث الكناية في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (فيضرب رواقه) إذ هو كناية عن تأسيس قواعده وتركيز كيانه الفاسد، يقول مصنف (الديباج على مسلم): (فيضرب رواقه: أي: ينزل هناك ويضع ثقله)[1].

الجانب الرابع: وهنا يود الباحث التركيز على جمالية التقديم والتأخير في النص الأخير، في قوله: (فيخرج "إليه" كل ...) فلعل الدلالة العميقة في توظيف هذا الاسلوب هي شدة تعلق المنافقين بصنوهم الأكبر فلو ان الحديث كان كما يلي: فيخرج كل منافق ومنافقة اليه، لما كان بنفس التأثير والبلاغة، إذ يقوم التقديم والتأخير بدور رئيس في تأسيس جمالية من خلال التنويعات اللغوية التي يحدثها عبر التموجات اللغوية التي تعطي طواعية في التعبير، وتوصل

---

[1]- الديباج على صحيح مسلم إبن الحجاج: عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أبو اسحاق الجويني الأثري، ط١، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٦هـ،٦/٢٦٣.

إلى المتلقي المعنى والمراد، كما ان هذا الاسلوب العظيم يعد شكلاً من أشكال الانزياح المسمى بالانزياح التركيبي أو الانزياح الموضعي[1].

وفي المحصلة الأخيرة يود الباحث من خلال كل ما تقدم في خصوص المنافق والدجال أن يبين الخلاصة الآتية:

في الحديث الأول كان للتوكيد الدال على خطورة الدجال اسلوب معين من الكلمات ألا وهو اعتماد التوكيد بالقصر مرتين مع التوكيد بالحرف (من).

وفي الحديث الثالث (يجيء الدجال...) خرج التوكيد بشكل آخر من خلال التقديم والتأخير في قوله (فيخرج اليه كل كافر ومنافق).

وفي الحديث الأخير لاحظ الباحث كيف ورد التوكيد بأسلوب مغاير للأسلوبين السابقين إذ نجد أنفسنا أمام تنوع من الأساليب البلاغية التوكيدية للمعنى نفسه ولم يكن ذلك إلا مطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة.

---

[1]- ينظر: التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب، اطروحة دكتوراه: زينة عبد الحسين الخفاجي، جامعة بابل، كلية التربية ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٦٢.

الفصل الثاني

النفاق في مفهومه غير الصريح
(الضمني أو السياقي)

المبحث الأول - المنافقون والمصلحون

المبحث الثاني - النفاق في الإمارة والحكم

المبحث الثالث- آفاق النفاق وأبعاده الأخرى

(من روايات الفتن وأحوال آخر الزمان)

المبحث الأول

المنافقون والمصلحون

يجدر بالباحث هنا أن يحاول قراءة نصوص شريفة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن بشكل وبعد مختلفين عما كان في الفصل الأول، وذلك ان النظر إلى معنى النفاق والمنافقين من زاوية واحدة يعد نقص في القراءة البلاغية، إذ لا تعطى الصورة للقارئ من زاوية وأبعاد مختلفة، إذاً، فهذه محاولة ثانية يراد من خلالها إكمال ما بدأ به البحث وسد ما بدر منه من نقص من خلال أحاديث شريفة اختيرت لهذا الصدد، كان فيها مفهوم النفاق ضمنياً وليس تصريحياً.

فلقد قال النبي صلى الله عليه وآله: (من ابغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً فإن أدرك الدجال كان معه، وإن هو لم يدركه بعث في قبره فآمن به...)[1]، وهنا أيضاً يود الباحث في تحليله أن يساير ويكمل ما بدأ به معتمداً الاسلوب نفسه في الفصل الأول، أي استعراض بعض مواطن الجمال الفني البلاغي للحديث الشريف من خلال التقسيمات والتفريعات لهيكل التحليل والدراسة، وعليه، فإن الباحث يلمس في النص الشريف المتقدم معالم واحات الجمال البلاغي من خلال الزوايا الآتية:

الزاوية الأولى: الكشف عن مدى خطورة بغض النبي محمد عليه وآله الصلاة والسلام من خلال المساحة الواسعة التي شغلها (الخبر) في النص، والذي احتاج معه المقام إلى أداة من أدوات التوكيد أي الضمير (هو) في (وإن "هو" لم يدركه بعث في قبره فآمن به...).

الزاوية الثانية: الغرض الذي أراد الخبر المكثف في النص –إن صح التعبير– أداءَه كان (التحذير).

الزاوية الثالثة: وفيها نقطتان:

---

[1]– أمالي الشيخ المفيد، ص١٢٦.

الأولى: وجود المنافق في السياق بشكل غير تصريحي ولو انه كان مصرحاً به لم يكن بالمستوى الفني والجمالي الذي أداه النص.

الثانية: شدة ملازمة المنافق للدجال الأعور ثانية وقد تجسد ذلك من خلال بعدين:

البعد الأول: التحاق هذا الخبيث المنافق بالدجال بسبب بغضه لهم عليهم السلام، وشبيه الشيء منجذب اليه.

البعد الثاني: وفي هذا البعد تتجلى شدة التصاق واتباع المنافق للدجال لدرجة انه ان مات لم يسلم من مشايعة ومتابعة ذلك الدجال حيث انه يبعث في قبره ويؤمن به!... وملخص المعنى من كل ذلك ممكن أن يقرأ بالشكل الآتي: لما كان من سنن الله في الكون ان لكل فعل رد فعل، فإن لردة فعل بغض أهل البيت من التشوه والخسران ما أدى بالفاعل إلى أن يبعث يوم القيامة يهودياً من جهة، وأن يلازم الدجال بشكل قوي إن كان حياً أو ميتاً من جهة أخرى، وبعد كل هذا فإن المعنى أبلغ واوجع وأنجع من لو انه (صلى الله عليه وآله وسلم) صرح بالمنافق.

وأما إذا استعرضنا الحديث الآتي: (يا معشر المسلمين من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً "قال جابر: فقمت اليه فقلت: يا رسول الله وإن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟" فقال: وإن شهد إن لا إله إلا الله فإنما احتجز من سفك دمه، أو يود الجزية عن يد وهو صاغر. ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): من أبغضنا اهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً فإن أدرك الدجال كان معه، وإن هو لم يدركه بعث في قبره فآمن به...)[1]، وفي هذا الحديث الشريف أود أن أقرأ النص من أكثر من جهة.

الجهة الأولى: تركز لون التوكيد في النص والذي جسده كثرة التكرار للجمل مثل: تكرارية قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (من أبغضنا أهل البيت)، فقد تكررت الجملة (مرتين)، وكذلك: تكررت جملة (بعثه الله يوم القيامة يهودياً) مرتين وكذلك: تكرارية هذه

---

[1]- أمالي الشيخ المفيد، ص١٢٦.

الجمل إذا ما نظرنا إلى الحديث الأسبق وكل هذا –إجمالا– يرشد المتلقي والباحث نحو شدة خطورة الموضوع ألا وهو بغض محمد وآله عليهم السلام.

الجهة الثانية: روعة التمازج والتداخل للألوان البلاغية في لوحة النص، حيث انه لم يتمركز حول جانب واحد بل داخل ذلك فن (بديعي) كان توظيفه مناسباً جداً ألا وهو فن (الاقتباس) من آي الذكر الحكيم حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (... أو يؤدِ الجزية عن يد وهو صاغر)، (اقتباساً) من قوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٢٩])[1].

وعنه صلى الله علية وآله انه قال: (أنا فرطكم على الحوض وليُرفعن رجالاً منكم ثم ليُختلجُنّ دوني فأقول يا رب أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[2]، هنا يريد الباحث أن يبتدئ بالتركيز على الجملة الخبرية الأولى، أي قوله: (أنا فرطكم على الحوض)، من خلال النقطتين الآتيتين:

الأولى: توظيف الجملة الخبرية في شد انتباه المتلقي، فالسامع للجملة حتما سينتبه لما يريده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهنا لو كان الأمر بالعكس أي لو أنه قال فرطكم على الحوض أنا، لما كان لذلك من الجمال المناسب للمقام.

الثانية: لعل الجملة الخبرية السالفة أدت وظيفة أخرى هي التمهيد في نقل المتلقي إلى سماع هذا الخبر أي: وجود ظاهرة النفاق في بعض أصحابه (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي دل على ذلك السياق وليس التصريح.

الثالثة: يلاحظ الباحث كيف مزج سيد الفصاحة والبلاغة (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجملة الخبرية بين غرضها (المعنوي) وانطوائها على فن المجاز فالعبارة ربما لا تريد التحديدية للحوض المقدس فقط فقد تكون من باب ذكر (البعض الذي يراد منه الكل) في

---

[1]– سورة التوبة، من الآية ٢٩.

[2]– صحيح البخاري: ج٧/ ٢٠٦، وكذلك ورد الخبر بتغيير لفظي في سنن الترمذي، ج٤/ ٣٨.

دائرة المجال المرسل وكذلك فإن من الفنون المعنوية التي انساقت في النص في أجمل ما يمكن كان فن (الوصل) ضمن قصدية ومطابقة للمقام وكذلك وبعد كل هذا فلا يفوت الباحث التركيز على معنى التوكيد والذي تركز وتكثف في أجواء النص كغيره من الأحاديث الشريفة، حيث كانت معالمه مستشفة من التالي:

أولا: التوكيد بالحرف وروعة اختياره وتناسب مقاديره في النص، من خلال قوله: (ولَيُرْفعن) أي اللام والنون، وكذلك قوله: (ليختلجن) أيضاً اللام والنون.

ثانياً: التوكيد بالحرف المشبه بالفعل (إن) في قوله: (إنك لا تدري) كما ويمكننا أن نلاحظ (الاكتفاء) في النص وما أداه من دور بلاغي عظيم، في قوله: (... يا رب "هؤلاء" أو "هم" أصحابي...) فقد أخذ هذا الكم من دائرة التفكير البلاغي حيزاً كبيراً إلى أن أصبح موطناً من مواطن الروعة والجمال عند أهل البلاغة، لذلك نراهم أوغلوا فيه تتبعاً وتحليلاً[1]. وفي رواية: (لَيَرِدَنَّ عليَّ ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك)[2]، فالصورة هنا قد خرجت بنسبة من الاختلاف الشكلي لما اقتضاه الحال، والتفصيل في ذلك كالآتي: بدأ الحديث بلا تكرير للجملة الخبرية (أنا فرطكم...) بل كان التوكيد متشكلاً بأساليب أخرى مثل: التوكيد بالحرف في قوله: (ليردن) أي اللام ونون التوكيد، وكان هذه المرة الفعل المضارع المؤكد متصدراً للنص وهذا بحد ذاته تغير لا حشو، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فقد تطلب المقام فناً توكيدياً مناسبا ألا وهو التقديم والتأخير والذي تمثل في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (... عليَّ ناس) وكذلك (من أصحابي الحوض...) وفي هذا من روعة التنوع في طرح الأساليب للموضوع نفسه ما يعجز في أدائه اللسان والقلم، فقد ترادف توكيد التقديم والتأخير في النص بشكل متلاحق، مسجلاً إشارة ودليلاً على شدة خطورة الأمر وفداحته أن كان النفاق في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

[1]- ينظر: الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، رسالة ماجستير: هادي شندوخ حميد ، جامعة البصرة، كلية الآداب ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٠.

[2]- صحيح البخاري: ج٧/ ٢٠٧.

ومن الفنون البلاغية في هذا النص ورود كلمة (ناس) منكّرة، وهذا لم يكن في النص السابق، وأكيداً ان لهذا التنكير دوراً وقصداً في اثراء صورة المنافقين من خلال كلمات النص الشريف، فللتنكير دلالة غير ما يؤديه التعريف في دلالته، كما ان له مواضع لا يقدر فيها التعريف على أداء المعنى كما يؤديها التنكير[1]، والحديث خير شاهد على هذا، ولعل الغرض البلاغي وراء هذا هو (التحقير) لهذه الثلة المنافقة.

وأما إذا تأملنا رواية: (... فأقول إنهم مني، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي)[2]، فمع هذا النص يود الباحث أن ينظر إلى نقطة بلاغية معينة هي (الإطناب) الذي جسده قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي) واللافت للانتباه ان هذا (الإطناب) أيضاً احتوى على التوكيد أي: سحقاً سحقاً، وهذا بدوره يدعو إلى التحليل الآتي: ان التوكيد في النصوص صار أشهر من أن يتوسع فيه القلم ولكن وحتى لا يكون خروج كل نص من الأحاديث التي تناولناها عن دائرة الابداع كان للمقام مع كل واحد من هذه النصوص دور تطلب التغيير في اللفظ فلو انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يكرر ألفاظ الحديث في كل مناسبة بلا تغيير لما ارتقى هذا الصرح النبوي الشريف في سماء البيان والبلاغة والفصاحة.

وقبل الخروج من هذه الدائرة، يجدر بي استعراض الحديث الآتي: قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه)[3]،فأذا ثبت ان كل الروايات في البحث وردت عن رسول الله نصاً فهنا يقوم والباحث الجاهل اجلالاً لروعة وعظمة وفصاحة وبلاغة النبي الأكرم الأقدس الأنور (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ حيث كان النص معادلاً وموازناً للأحاديث التي تم ذكرها، وكان من ضرورة مراعاة المقام ان عمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى (الايجاز) في التعبير عن صورة المنافقين، وكان الموقف لا يحتمل التوسع والتفصيل أكثر مما فصل فيه، وهذا الايجاز قد طوى المعنى برمته، ومن جهة

---

(1)- ينظر: علم المعاني د. قصي سالم علوان، ط٣،مطبعة جامعة البصرة، البصرة ، ١٩٨٥م، ص١٢٤.

(2)- صحيح البخاري: ج٧/ ٢٠٨.

(3)- أمالي الشيخ المفيد، ص٣٨.

أخرى، نرى تجلي عظم توظيف (الكناية) في الحديث في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من لا يراني بعد أن أفارقه) حيث ان الجملة الخبرية أدت دور الكناية بنجاح عظيم فالكناية هنا كانت أبلغ وأنجع مما لو أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من لا يصحبني في الجنة، فكأن من انطبق عليه هذا الحديث قد استحق الخسران والهوان بجدارة وتميز لدرجة انه حتى لا يرى رسول الله في المحشر.

يقول الدكتور أحمد مطلوب ضمن حديثه عن الكناية: (الكناية لونٌ من ألوان التعبير البياني وقد عني بها نقاد العرب وعرفوا لها مكانتها في الايضاح والتأثير)[1].

ومن الشواهد النبوية الشريفة التي جسدت دور الفنون البلاغية وتنوع أساليبها رواية : ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى"[2]، والتحليل في عدة نقاط:

النقطة الأولى: بلاغة التوكيد بالحرف وقد جسدها قوله: (من نبي) و(من خليفة).

الثانية: التوكيد باسلوب النفي والاستثناء، (ما) بعث... ولا... (إلا).

الثالثة: التوكيد باسلوب التقديم والتأخير (كانت "له" بطانتان...).

الرابعة: الاستعارة التي جسدها قوله: (بطانة) وكأن اللفظة مأخوذة من القماش الذي هو بطانة الثوب، وقد جاء في مصنف تحفة الأحوذي: (البطانة بالكسر الصاحب الوليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب...)[3]، وزاد المناوي في (فيض القدير) قوله: (شبه ببطانة الثوب هنا كما شبه بالشعار في خبر: الأنصار شعار والناس دثار...)[4].

---

(1)- البلاغة العربية (المعاني والبيان البديع): د. أحمد مطلوب، ط١ ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٢٩.

(2)- صحيح البخاري: ج٨/ ١٢١.

(3)- تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي:٣٢/٧ .

(4)- فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٣١٨/٢.

النقطة الخامسة: فن الإطناب الذي مثله قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (... فالمعصوم من عصم الله تعالى).

ولا يفوتنا التذكير بجمالية توزيع المفردات المتكررة في النص الشريف بالشكل الذي لم يخرج معه عن دائرة الإبداع والجمال، إذ تكررت في الحديث كلمة (بطانة) وكلمة (عصم) فكان لهذا التكرار بعداً فنياً بلاغياً غير الذي رأيناه من خلال تنوع الأساليب التوكيدية مع تضمنها لفنٍ بيانيّ كان توظيفه غاية في الدقة والجمال والابداع، وأخيراً، فإن الصورة المستوحاة من كل ذلك هي ان المنافقين متلازمون ومتمركزون حول كل مصلح بشكل استدعى التشبيه ببطانة الثوب. لأن البطانة أقرب شيء للرجل.

وجاء في صحيح مسلم: (... حدثنا اياس حدثني أبي قال: عدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. رجلاً موعوكاً، قال: فوضعت يدي عليه فقلت: واللهِ ما رأيت كاليوم رجلاً أشد حراً، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأشد حراً منه يوم القيامة؟ هذين الرجلين الراكبين المُقفّيين" لرجلين حينئذٍ من أصحابه)[1]، وهنا يريد الباحث أن يقرأ الحديث الشريف بالشكل الآتي:

أولا: فنية الصياغة الكنائية التي مثلتها الجملة الانشائية: (ألا أخبركم بأشد حراً منه يوم القيامة)، فالجملة بعد أدائها غرض التنبيه وربما التحذير معاً، بهذا الاسلوب الرصين التلميحي المؤثر اصطبغت بصبغة الكناية، أي كناية عن مصيرهما في جهنم جزاءً لما قدموا من نفاقٍ ودسائس، فالأمر مفاجئ لدى جليسي رسول الله حول المريض وهذه المفاجأة المذهلة استدعت استعماله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الشكل التركيبي الرائع من البلاغة والبيان أن صدّر كلامه بالأداة (ألا) وكانت الجملة كناية وتحذيراً وتنبيهاً في آن واحد!...

ثانيا: احتياج المقام لصياغة توكيدية ترسخ في ذهن وقلب المتلقي هذه الحقيقة، من خلال توظيف قوله: (الرجلين الراكبين المقفيين)، فكان لهذا التوكيد دوره المتعاضد مع دور الجملة الانشائية في بداية النص الشريف، إذاً تنبيه وتحذير مع ترسيخ وتوكيد لهذه الحقيقة

---

[1]- صحيح مسلم: ج٨/ ١٢٤.

المفاجئة وكل هذا في كلمات قليلة سجلت شاهداً ودليلاً لجوامع الكلم في لسانه (صلى الله عليه وآله وسلم).

يقول الرافعي: (فإن العرب وإن هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في إحكامه وتجويده، إلا ان ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم، وروية مقصودة، ...)[1]، وليس من كلام الرافعي هذا شيئاً في تراث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن الشواهد النبوية التي يحتمل البحث تضمنها للنفاق (سياقياً)، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا معشر من آمن بلسانه ولم يصل الايمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المؤمنين، ولا تذموا المسلمين، فإن من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته، ومن تتبع الله عوراته فضحه في جوف بيته)[2]، ويسجل هذا النص شاهداً آخر على روعة البلاغة النبوية من خلال ما يأتي:

أولا: تصدر الحديث الشريف بفن الكناية الذي أدى تعريضاً وجيعاً بليغا في نفوس أولئك المنافقين المتسترين بالشهادتين في جموع الاسلام آنذاك، والجميل كل الجمال ان الكناية هذه اقتبست من آي الذكر الحكيم فهي ضربة بلاغية موجعة جاءت بعد قوله تعالى: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم. . .)[3]، وكأن وظيفة الكناية في بداية الحديث شد انتباه بل اعناق أولئك المنافقين لمعرفة ما يراد منهم.

ثانياً: الغرض الذي أفادته الجملة الانشائية الطلبية أي قوله: (لا تتبعوا عورات المؤمنين) إذ يبدو انها هنا أفادت (التحذير)، ويتآزر معها غرض الجملة الثانية أي قوله: (ولا تذموا المسلمين) حيث أفادت (التحذير) مشكّلتان معاً غلظة طلبية –إن جاز التعبير– أشبه ما تكون بالجزية على بقائهم في صفوف المسلمين بلا تشهير.

ثالثاً: قصدية تقديم المؤمنين على المسلمين ضمن مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينسى حتى في غضبه باعتبار العصمة المقدسة لا ينسى أن يعطي لكل ذي حق حقه.

---

[1]– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص١٩٤.

[2]– أمالي الشيخ المفيد، ص١٤١.

[3]– سورة الحجرات، من الآية ١٤.

رابعاً: احتمالية البحث للصياغة المجازية في قوله: (تتبع الله عوراته)، كما لا ننسى قصدية توزيع الفعل (تتبع) في النص بالمقادير المتناسبة مع عدم دفع النص نحو التكرارية المملة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا حظ الباحث كيف أثرى النص ثقافة المتلقي الأدبية واللغوية من خلال هذه التنوعات الفنية في نص قصير الكلمات، ومن شواهد هذا الاثراء تباين الفعل في النص من تتبعوا إلى تتبع موحياً بشكله الأخير إلى استمرارية وديمومة هذا الجزاء الشنيع أي جزاء الملاحقة الالهية في فضحهم والذب عن المؤمنين، إذاً فالقصدية والمطابقة كانت وراء تغير الفعل من تتبعوا بحسب محل الجزم وصياغة الجملة المتناسبة مع التحذير فلما وصل النبي إلى الجزاء وظف الفعل (تَتَبعّ) الذي توحي دلالته بعمق العقوبة وشدتها حتى ان المنافق مع هذه العقوبة مفضوح في جوف بيته!...

المبحث الثاني

النفاق في الإمارة والحكم

ان من الابداع النبوي البلاغي في تصوير المنافقين ما يمكننا أن نلمسه في هذا المبحث الذي جاء مؤازراً ومعاضداً لما تقدم من شواهد المبحث الاول، فقد روي عنه صلى الله عليه وآله: (إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل كيف إضاعتها يا رسول الله: قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة)[1]، وهنا قبل أن ينطلق القلم في التحليل البلاغي على الباحث أن يبرر سبب اختيار هذا النص وما يماثله ضمن التحدث عن المنافقين بالشكل الآتي:

ان الرواية وإن لم تأتِ بها لفظة أو جملة حول النفاق والمنافق إلا ان السياق ممكن أن يتضمن ذلك، ففي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (... إذا أسند الأمر إلى غير أهله...)، إذا ما استقرأنا حركة التاريخ الاسلامي فإننا حتما نجد من تصدر وترأس منابر الاسلام ممن هم أعداء له وكونهم متسربلين بسربال الدين، إذاً ممكن القول انهم منافقون وأما تركيز الباحث حول بلاغة الحديث الشريف، فإن قوله: (... إذا أسند الأمر إلى غير أهله...) له من الدلالة العميقة المؤثرة في المتلقي ما لا يستطيع التصريح أن يؤديه، وفي هذا يقول الجرجاني: (قد أجمع الجميع على ان "الكناية" أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، ...)[2]،بالاضافة الى تضمنه لفن (رد العجز على الصدر في تكرار قوله : (فأنتظر الساعة).

وفي رواية أخرى: (... إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[3]، وهنا يقول الشريف الرضي (قدس سره) في (المجازات): (وهذه استعارة، والمراد: إذا استند الأمر إلى غير أهله، فأقام الوساد ها هنا مقام الإسناد. لأن المتوسد للشيء مستند اليه ومعتمد، وإنما جعل عليه الصلاة والسلام الأمر مستندآ لهم. لأنهم القائمون بأحكامه، والمقيمون لأعلامه فهم

---

[1]- صحيح البخاري: ج٧/ ١٨٨.

[2]-دلائل الإعجاز :عبدالقاهر الجرجاني،قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ٢٠٠٤، ص ١٧٠

[3]- صحيح البخاري: ٢١/١.

له كالمساك والسناد، والدعائم والعماد،...)[1]. وكذلك نجد روعة توظيف الفعل المبني للمجهول (وسِّد) في الحديث الشريف وما أداه من أدوار بلاغية فكان النص روعة في الصورة البيانية وروعة في الدلالات المعنوية ومن ثمَّ واحة بديعة زاهية بالفنون البلاغية، فالسياق قد يحمل أكثر من غرض في عدم تسمية الفاعل، أو يبرز غرضاً أساسياً أو جوهرياً حاملاً معه من الأغراض ما يتطلبه الحال ويقتضيه المقام[2].

وفي سياق مغاير واسلوب يفصح عن اعجاز وحذاقة يكشف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن وجه النفاق المشوه في الحكم والإمرة في رواية "هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش"[3]، ولنستعرض جماليات النص من خلال الأبعاد الآتية:

البعد الأول: تناسب طرح الجملة الخبرية "هلكة أمتي..." والتي قد يصح القول انها خرجت لأداء غرضين بلاغيين هما: التنبيه، وبيان العاقبة، أي تنبيه الناس إلى ان زمام الأمور ستفلت حتى يصل الأمر إلى هذه الصورة المأساوية في التحكم بالمسلمين.

البعد الثاني: الصورة المجازية التي رسمتها شبه الجملة "على يدي غِلْمة..."، حيث ان العلاقة المجازية في النص كانت علاقة سببية.

البعد الثالث: التنكير في كلمة (غلمة) وما أداه في السياق من دلالةٍ عميقة، إذ يبدو ان احتقار هؤلاء تناسب مع عدم ذكرهم أو التعريف بهم ضمن هذا النص، وهنا تتجلى دقة إصابة الكلام لمقتضى المقام الذي أراد التلميح وليس التصريح، أي انه (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى ان المناسب هنا عدم التصريح بذكر المنافقين الذين سيتصدرون سدة الحكم في المستقبل مكتفياً بالقيد في (من قريش).

---

[1]- المجازات النبوية: محمد بن حسين الشريف الرضي، تصحيح: مهدي هوشمند، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ايران، ١٤٢٢ق/ ١٣٨٠، ص٣٦٥.

[2]- ينظر: الاعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول: د. محمد السيد موسى، جامعة المنصورة، كلية الآداب، مصر، (د.ت)،ص٦.

[3]- صحيح البخاري: ٨٨/٨.

ولكي نجد ثراءً بلاغياً وصورة فنية أخرى للمعنى نفسه، علينا أن نتأمل في رواية :"هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء"[1]، ولنقرأ هذا المعنى من خلال النقطتين الآتيتين :

الأولى: تبدل الأسم الذي توظف مبتدأ بالجملة الخبرية أي (هلكة) فصار (هلاك) لينتقل المتلقي إلى واحة بلاغية أخرى فهلاك اسمان يدلان على الثبوت والملازمة والاستمرارية ولكن أن يتكرر الاسم بنفس اللفظ مرة أخرى فيقع الملل هذا ما لا يسمح به البيان النبوي الرصين، فهناك كان المناسب لفظة (هلكة) وهنا كان المناسب (هلاك)، هذا على فرض ثبوت ورود الحديثين نصاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية: تبدل القيد في الحديث الأول من (الجار والمجرور) أي (من قريش) إلى الصفة (سفهاء) التي تآزرت في دورها المعنوي مع موصوفها (أغيلمة) ما جعل فن التلميح يرتدي ردائين في كلا الحديثين الشريفين فكان لكل منهما دوره في الفن البلاغي ضمن دائرة معنى واحد!...

ويشهد لهذا ما ذكره الرافعي حيث قال: "كنت أتأمله قطعاً من البيان فأراه ينقلني إلى مثل الحالة التي أتأمل فيها روضة تتنفس عن القلب، أو منظراً يهز جماله النفس، أو عاطفة تزيد بها الحياة في الدم، على هدوءٍ ورَوح وإحساس ولذة، ثم يزيد على ذلك انه يصلح من الجهات الانسانية في نفسي، ثم يرزق الله منه رزق النور فإذا أنا في ذوق البيان كأنما أرى المتكلم (صلى الله عليه وآله وسلم) وراء كلامه"[2].

ومما يكشف عن سوء تسلط الحاكم وغشه للرعية، في صحيح مسلم: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"[3]، فهنا تفصيل جاء بقصد فتوسط بين الأداتين (ما) و (إلا) أعني: "من عبدٍ يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته" وكان لضرورة طرح هذه الكلمات بين النفي وإلا إثراءٌ للّوحة الدلالية

---

[1]- صحيح البخاري: ٨٨/٨.

[2]- وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي، ط٧، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، (د.ت)، ٥/٣ .

[3]- صحيح مسلم: ٨٨/١.

للنص، وتناسب مع قضية غاية في الخطورة في التاريخ أي انحراف الحاكم بالدسيسة والغش والتمويه ومن ثمَّ ضياع الأمة ومقدراتها.

وكأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مازج بصورة موفقة كل التوفيق بين اسلوب الاستثناء بالنفي وإلا والتفصيل في صورة الحاكم الغاش لرعيته من خلال صياغة تدعو المتلقي إلى الانتباه والانشداء والمتابعة لما سيكون أخيراً من مصير هذا الغاش المتسلط ولن يستطيع ناقد أن يتجرأ ويقول ان الأداة (إلا) في ابتعادها عن (ما) النافية أدت بالسياق إلى الضعف والركاكة، وحاشا لسيد الكائنات أن يقال في نظمه مثل هذا.

كما لاحظ الباحث اكتفاء النص من خلال عدم ذكر اداة الربط (الفاء) مع المضارع (يموت)، وكأن هذه الاستطالة المتناسبة مع المقام لا تسمح بالزيادة حتى بحرف مسجلة دقة ورصانة بعيدتين كل البعد عن التكلف.

كذلك فإن للتشدد التوكيدي في صياغة النص أشكالاً تعاضدت في أداء الدلالة للحديث بالشكل المتلائم المنسجم، حيث كانت مساحة التوكيد في النص مكثفة ومتعددة، فتارة نرى التوكيد بالحرف مثل: (من عبدٍ) وأخرى جسدها التوكيد بقوله: (يوم يموت) ولم يكتف (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : "يموت وهو غاش..."، كذلك نرى التوكيد بالضمير المنفصل (هو) ملاحظين ان هذا التوكيد برمته احتاج هذا التباين والتلون في مفرداته الجزئية، فالأمر خطير وشنيع، خيانة الأمانة على مستوى كهذا استدعت صياغة متشددة في البناء النظمي كما رأينا في النص.

ومن جهة أخرى وضمن دائرة القصدية والمطابقة نجد اختيار الفعل (حرّم) وحالة من الدلالة والموسيقية ما يرادف هذه القوة التوكيدية، فحرّم أشد وقعاً من (حَرُمت عليه الجنة)، كما لا ننسى وجود التقديم والتأخير في قوله" "عليه الجنة"، كل هذه الكثافة التوكيدية المتنوعة لم تشوه صورة النص بل على العكس كانت من صميم المناسبة مع قمة الفصاحة والابتعاد عن التكلف.

وأما في شرح النووي لصحيح مسلم، فقد قرأ الحديث بالشكل الآتي: "... أما فقه الحديث فقوله (ص): حرم الله عليه الجنة فيه التأويلان المتقدمان في نظائره أحدهما انه

محمول على المستحيل والثاني حرم عليه دخولها مع الفائزين السابقين ومعنى التحريم هنا المنع، قال القاضي عياض رحمه الله معناه بين في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئآ من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم..."[1].

وإذا تمعنا في رواية: "لا يسترعي الله عبداً رعية يموت حين يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه الجنة"[2]، نلاحظ كيف تغير في الحديث الشريف من ألفاظه ما تناسب مع القصدية واقتضاه الحال ضمن الموضوع الواحد، وملامح ذلك من خلال ما يأتي:

أولا: تبدل أداة النفي من (ما) إلى (لا) النافية غير الجازمة.

ثانياً: التخفيف من الكثافة التوكيدية في صياغة الحديث مع المقارنة بالحديث السابق.

ثالثاً: تبدل الظرف (يوم) بالظرف (حين)، ومع هذه التغيرات اللفظية نجد أنفسنا أمام كثافة متنوعة من البلاغة النبوية الرصينة التي تجعل المتلقي في كل مرة يلقى عليه النص وكأنه يسمعه أول مرة.

وفي صحيح البخاري: "ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة"[3]، فنلاحظ دخول القيد (من المسلمين) في النص مع التركيز في هذه المرة حول تولي أمر بعض المسلمين فكأن النص هنا تخصص، مع ملاحظة ظهور (الفاء) في قوله (فيموت) بلا ظرف كيوم أو حين كما تقدم وكأن الصيغة التوكيدية في هذا النص اقتضى الحال أن تخفف بالشكل الذي ظهر فيه الحديث، إذاً فالقصدية والمطابقة كانت وراء تخفيف التوكيد عن كاهل النص الأخير كما لاحظ الباحث، واللافت للنظر ان جملة الجزاء أي قوله (إلا حرم الله عليه الجنة) لم تتغير في النصوص الثلاثة، وضمن الحديث عن المطابقة في البلاغة يحتمل الباحث ان عدم التغير هذا هو مما لا يسمح به المقام في كل مناسبة، فالتصدي

---

[1]- صحيح مسلم بشرح النووي: النووي (ت ٦٧٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ ١٦٦/٢.

[2]- صحيح مسلم: ٨٨/١.

[3]- صحيح البخاري: ١٠٧/٨.

لتولي أمر الرعية أمر خطير وكبير والمسؤولية كبرى وعظمى ما حدا بالجزاء الألهي أن لا يتغير في ثلاثة أحاديث ربما كان بين الواحد والآخر مدة من الزمن.

كما انه لم يكن لوجه النفاق اكتفاء بهؤلاء الذين تصدوا ويتصدون للحكم، بل هنالك وجه أبشع وأبلغ في النفاق والغش والزيف منهم ألا وهو وجه علماء الدين المزيفين المنحرفين، أئمة الضلالة والفساد والإفساد وعاظ السلاطين أهل الفتنة كل الفتنة، إذ ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "انما أخاف على أمتي الأئمة المضلين"[1]، ففي الرواية انطوت كل المعاني وعبرت هذه الكلمات عن كل الكلام الذي يمكن أن يقال في هذا الصدد والخصوص، وأول ما يريد أن ينطلق به القلم هو فن الايجاز الذي ضم في دائرته كماً من الفنون البلاغية، (ايجاز قصر) عبّر من خلاله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ملابسات وحيثيات وجزئيات الموضوع برمته، نعم، فليس مثل خطورة الفقيه المزيف الغاش على المجتمع خطورة، ولذلك نرى كيف صدّر (صلى الله عليه وآله وسلم) الحديث في أداة الحصر (إنما)، وكأن المعنى لا يؤدي حقه اسلوب القصر بالنفي وإلا، فقد توظفت هذه الأداة (إنما) في سلك نظم الحديث بكل نجاح وجدارة.

ان "أساليب القصر من الأساليب الغنية بالاعتبارات الدقيقة والملاحظات العديدة، فهو فن دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار"[2].

كذلك فإن للفعل المضارع (أخاف) من ظلال المعنى ما يشهد لشدة خطورة تحكم أئمة الضلالة، فالفعل يوحي بالاستمرارية، استمرارية الخوف وديمومته، فليس تصدي الإمام الضال المضل بالأمر الهين، فاقتضى الحال وجود الفعل بهذا الشكل في الحديث الشريف.

ثم يتآزر مع هذه الصياغة توظيف التقديم والتأخير في النص أي: "... على أمتي الأئمة المضلين" ليشكل شاهداً آخر على هذه الخطورة وشاهداً على مدى حرص واهتمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمصير الأمة ومقدراتها ودينها ودنياها، فالعجيب والمبهر في

---

[1]- سنن الترمذي: الحديث رقم (٢٣٣٠)، ٣٤٢/٣.

[2]- علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: بسيوني عبد الفتاح فيود، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ت)، ٥/٢ .

النص كيف عبّر (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كل هذه الخطورة بما تحمله من معانٍ بكلمات قليلة موجزة.وفي سنن ابن ماجة: "... وان مما أخوف على أمتي أئمة مضلين..."[1]، فالتوكيد في صياغة الرواية هنا اختلف عنه في رواية سنن الترمذي، حيث كان هناك متجسداً بالقصر (بـــ إنما) وهنا صار مؤكداً بالحرف (إن) وهذا من شواهد اختيار الألفاظ ضمن القصدية وما يتطلبه المقام، كذلك لا ننس الغرض البلاغي، فالغرض البلاغي قد يصح أن يكون تحذيراً وتنبيهاً معاً، إذاً فالتحذير والتنبيه اللذان أرادتهما الأخبار المتقدمة تشكلا بأكثر من صياغة، فتارة نجد التحذير والتنبيه من خلال التوكيد بالقصر بالأداة (إنما)، وتارة نجدهما من خلال التوكيد بالحرف (إنَّ) ، وكأن الرسول يريد أن يصور المأساة للمتلقي بأشكال مختلفة من خلالها يقرأ المعنى بأكثر من قراءة، ولم ينته الكلام في روعة ودقة اختيار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للألفاظ تعبيراً عن المعنى ذاته، ويشهد لذلك أيضاً ما عمد إلى تغييره من التعريف إلى التنكير أعني من قوله "الائمة المضلين" إلى "أئمة مضلين"، فالتعريف للأئمة تناسب مع المقام وتنكيرهم تناسب أيضاً مع المقام في النص الأخير فكأن القوة الدلالية –إن جاز التعبير– في طرح (إنما) في صدر الحديث الأول كان من المناسب والموازن لها تعريف أئمة الضلالة وعندما تطلّب المقام في مناسبة أخرى أن يعبّر (صلى الله عليه وآله وسلم) عن خوفه على الأمة منهم اقتضى ذلك أن يطرح (إنَّ) في قوله: "إن مما أتخوف..." وقد توازن وتناسب مع هذا المستوى من الدلالة التنكير للأئمة المضلين.

---

[1]– سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـــ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٤٨هـــ/ ١٩٣٠م، الحديث رقم (٣٩٥٢)، ج٢/ ١٣٠٤.

المبحث الثالث

آفاق النفاق وأبعاده الأخرى

(من روايات الفتن وأحوال آخر الزمان)

من اللافت للانتباه ان طرح صورة المنافقين في تراث سيد الفصحاء والبلغاء (صلى الله عليه وآله وسلم)، في تنوع وتباين ما يثري القارئ الكريم بالمعلومات الوافية عن مدى بشاعة هذه الصورة وقباحتها، ومن هذه التنوعات ما جاء عنه في مجموعة مشهورة في كتب الحديث بشكل مستفيض ومتواتر حول شكل النفاق والخديعة في تصوير ما يؤول إليه أمر الناس في الفتن وأحوال آخر الزمان، فكأن الفتن وسوء الأحوال التي يمر بها المجتمع الإسلامي خاصة غُربال يفرز من خلاله الصالح من الطالح من الناس ولهذا المعنى ما يشهد من أحاديثه (صلى الله عليه وآله وسلم)،

فقد ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: "يا علي إن الله قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم جهاد المشركين معي، فقلت: -أي علي عليه السلام- يا رسول الله وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا اله إلا الله، وأني رسول الله وهم مخالفون لسنتي وطاعنون في ديني. فقلت: فعلام نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟ فقال: على إحداثهم في دينهم، وفراقهم لأمري، واستحلالهم دماء عترتي... يا عليُّ ان الهدى هو اتباع أمر الله دون الهوى والرأي، وكأنك بقوم قد تأولوا القرآن وأخذوا بالشبهات واستحلوا الخمر بالنبيذ، والبخس بالزكاة، والسحت بالهدية، قلت... فما هم إذا فعلوا ذلك، أهم أهل ردة أم أهل فتنة؟ قال: هم أهل فتنةٍ يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل..."[1]، والباحث يلمس معالم نفاق أهل هذه الفتنة في النص من خلال القرائن الآتية:

---

[1]- أمالي الشيخ المفيد، ص٢٨٨-٢٨٩.

أولاً: قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "... يشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله وهم مخالفون لسنتي وطاعنون في ديني...".

ثانياً: قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "هم أهل فتنة،...". ولم يقل إنهم أهل ردة.

ثالثا: وخارج إطار النص على الباحث أن يستشهد بما يؤيد ويؤكد حقيقة ورود هذا الكلام عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ ورد عن الصحابي حذيفة بن اليمان قوله: "ان المنافقين اليوم شرٌ منهم على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يومئذ يسِّرون واليوم يجهرون"[1]، ويكتفي الباحث بهذه القرائن، عائدا لمهمته في التحليل البلاغي من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى: صورة الاستمرارية والتجدد التي نلمسها في الحديث لخداع وزيف هؤلاء بالتظاهر بالاسلام الشكلي من خلال الفعل (يشهدون) في قوله: "يشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله...".

الثانية: الدلالة الموازنة والمعادلة لهذا الاستمرار في الغش والخديعة أي دلالة الثبوت في الطعن والمخالفة لدين الله والتي نلمسها من خلال اسم الفاعل مخالفون واسم الفاعل طاعنون في قوله: "... وهم مخالفون لسنتي وطاعنون في ديني..."، فالصورة التي رسمها الفعل المضارع قام بترسيخها وتثبيتها اسما الفاعل مخالفون وطاعنون ما أدى بالدلالة المؤدية لمعنى هذا النفاق أن تكون مركزة ومكثفة من خلال هذا التوازن في طرح الفعل واسمي الفعل، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نلاحظ جمالية التشكيل الموسيقي المتناسب مع المقام في طرح الفعل يشهدون ومن ثم اسمي الفاعل (مخالفون وطاعنون) وكل هذا بلا تصنع ولا تكلف.

النقطة الثالثة: لاحظ الباحث روعة التناسق والتوازن في طرح الفعل يشهدون في بداية النص والأفعال: تأولوا وأخذوا واستحلوا في قوله: "وكأنك بقوم قد تأولوا القرآن، وأخذوا

---

[1]- صحيح البخاري: ج٨/ ١٠٠.

بالشبهات واستحلوا الخمر بالنبيذ..."، فكأن المقام تطلب تقديم الفعل المضارع يشهدون وتعزيزه باسمي الفاعل (طاعنون ومخالفون) وأن يصور نفاق أهل الفتنة من خلال الأفعال: تأولوا وأخذوا واستحلوا بما فيها من دلالة عميقة مفصحة عن الانحراف والتحايل باسم الدين، ومن ثمَّ فنحن أمام صورة معبرة كل التعبير عن النفاق غير الصريح في هذا النص.

النقطة الرابعة: احتياج المقام لحلقة وصل بين حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) عن شهادتهم المزيفة ومخالفتهم العلنية الظاهرة وتَجرُّئهم على دماء العترة الطاهرة وبين حديثه عن بعض سلوكياتهم الخبيثة وأساليبهم النفاقية من خلال التأول للقرآن واستبدال البخس بالزكاة والسحت بالهدية، وأعني بحلقة الوصل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "يا عليُّ ان الهدى هو اتباع أمر الله دون الهوى والرأي"، كما ان لهذا السياق من النص روعة تضاف إلى كونه حلقة وصل، إذ من خلاله قدّم (صلى الله عليه وآله وسلم) لأحوال هذه الفئة الضالة من حيث التأويل والاستحلال وتبديل شرائع الإسلام بالأباطيل والآثام، إذاً، فالقصدية والمطابقة دفعت بهذه الكلمات لأن تكون مقدمة لآخر الكلام وحلقة وصل لطرفيه في النص.

وأما النقطة الخامسة: ففيها الكشف عن مدى تركّز التوكيد ونوعه من خلال:

أولاً: التوكيد بالحرف والذي جسده قوله: "ان الله" وقوله: "قد كتب..." وقوله: "أن لا إله..." "وأني رسول الله" و قوله: "إن الهدى" و"قد تأولوا...".

ثانياً: التوكيد بالتقديم والتأخير ويمثله قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "قد كتب (على المؤمنين) الجهاد".

ثالثاً: التوكيد بالضمير المنفصل في قوله: "ان الهدى (هو) اتباع أمر الله..."وقوله: "(هم) أهل فتنة..."، كما لا ننسى كيف ان المقام احتاج التأكيد على إسلامهم الكاذب بقوله: "وأني رسول الله" بعد ذكر شهادة التوحيد الكاذبة في ألسنتهم، وبعد كل هذا يطرح الباحث السؤال الآتي: لماذا كل هذه الكثافة والصيغ التوكيدية التي بينت معالم صورة هؤلاء في النص؟ وأقل ما يمكن أن يقال: ان دور المطابقة والقصدية استدعى هذه التنوعات التوكيدية فالخطب جلل والمصيبة فادحة أن يتأول القرآن فيُحَلُّ ما حَرم الله ويُحرَّمُ ما أحله الله سبحانه وتعالى لا بل ويُتجرّأ على أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقتل من غير أن

يرى ذلك ذنب من خلال قوله: "واستحلالهم دماء عترتي..." وكل هذا بعد جهد جهيد من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في ترسيخ الدعوة الإسلامية وتثبيت فرائض الإسلام وسننه وإعلانه لوجوب الاستمرار في المسيرة الإسلامية الشريفة وكأن النبي لم يأت هادياً ومبشراً ونذيراً لهؤلاء ولم تشملهم الدعوة الإسلامية الخالدة ما أدى إلى أن تتكثف ألوان التوكيد في النص الشريف.

النقطة السادسة: روعة وجمالية اختياره (صلى الله عليه وآله وسلم) لأسلوب التنكير بدل التعريف في (قوم) من قوله: "فتنة قوم..." ثم يعود (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى التنكير في قوله: "وكأنك (بقومٍ)..." فهذا التنكير متناسب مع وضاعة وانحراف هؤلاء المشوهين المزيفين المجرمين.

النقطة السابعة: دور الاكتفاء وجمالية توظيفه في النص مثل قوله: "... على إحداثهم في دينهم، وفراقهم لأمري واستحلالهم دماء عترتي..." فالاكتفاء بعد كلمة تقاتلونهم "على إحداثهم..." وكأن النص بكل هذه الكثافة التوكيدية لا يسمح بتصدر هذا الفعل في جملة "على إحداثهم..." التي جاءت جواباً لسؤال الإمام علي عليه السلام من جهة، ومن جهة أخرى اكتفى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحرف الجر (على) الذي خفض إحداثهم وعمل في خفض فراقهم واستحلالهم، فشكل النص قطعة واحدة مؤلفة من مجموعة قطع كل شيء فيها جاء بمقدار وكل ذلك جاء على الرغم من الإطالة في النص التي لم تؤدِ إلى السآمة والملل في عين وقلب المتلقي.

النقطة الثامنة: ما أداه الوصل في النص من روعة وحسن لم يخرج إلا عن دراية ومعرفة، ومن أمثلته قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "قد تأولوا القرآن وأخذوا بالشبهات واستحلوا الخمر بالنبيذ والبخس بالزكاة والسحت بالهدية..."، فالتناسب بين الجمل المذكورة من حيث ان كلاً منها كانت خبرية أدى إلى ضرورة الوصل فخرج الوصل بأبهى حلة.

النقطة التاسعة: يريد الباحث هنا أن يركز على تركيب مجازي غاية في الجمال والبلاغة أي قوله: "وكأنك بقوم..." فالدلالة التي أداها المعنى المجازي في الجار والمجرور

(بقومٍ) تطابقت مع المراد إذ ان شدة احتدام الصراع بين علي –عليه السلام– وبين هؤلاء الضالين المنافقين –أصحاب الجباه السود وما من بياض في قلوبهم– كان بقوةٍ وشدةٍ ما صوّره قتاله للناكثين والقاسطين والمارقين.

ومن الشواهد النبوية التي كشف نورها عن ظلمة المستقبل بسبب المنافقين الدجالين اتباع الدجال الأعور والمنافق الأكبر، ما جاء في صحيح مسلم، :"إن بين يدي الساعةِ كذابين فاحذروهم"[1]، فالحديث هنا جملة خبرية وقد تصدرت بـــ (إن) التوكيدية، ما يجعل البحث يحتمل انطواء الخبر على غرضين بلاغيين هما (التنبيه) و(التحذير) بمعنى مؤكد وقوي من خلال أداة التوكيد إن، فالمقام لا يؤديه مجرد الإخبار عن تواجد المنافقين في ساحة المستقبل بل كان لابد من تصدر ما يؤدي بالدلالة نحو القوة كي يرتكز المعنى في ذهن المتلقي بالشكل المطلوب وكل هذا في صياغة قليلة الكلمات.

ومن جماليات المجاز المتطابق والمتناسب في النص قوله: "بين يدي الساعة" فالاستعارة هنا كانت في غاية الروعة، وقد أدت معانٍ كثيرة في صياغة موجزة.

وإذا كان النص ذكر بلا كلام آخر يردفه فإذاً كان من شواهد روعة الإيجاز النبوي الشريف، إذاً فنحن مع كلمات خمس احتوت على المعنى كله وقد خرجت بتشكيلة بلاغية فنية لا يرقى إلى قباب مجدها الطير.

ثم لنلاحظ كيف ولد المعنى جمالاً وفناً في تشكله بكلمات أخرى من خلال رواية :"لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله"[2]، فنلاحظ في النص السابق كيف احتاج الغرض البلاغي (إن) لا غيرها في التوكيد على هذه الخطورة بينما هنا كانت لفظة (كذابون أو كذبون) هي المناسبة لأداء الدلالة التوكيدية، إذ ان كلمة دجالون وحدها في النص لا تؤدي المعنى إذ لا يوجد زيادة في القرآن الكريم أو السنة

---

[1]– صحيح مسلم: ٤/٦.

[2]– م ، ن: ١٨٩/٨.

الشريفة، فالمطابقة التي هي أحد ركني فن البلاغة دعت إلى هذه الكلمة أي كذابون أو كذبون لتنتظم في الحديث مع بقية كلماتها.

ومن زاوية أخرى، نلاحظ روعة ترتيب كلمات الحديث بمنتهى الفصاحة العربية، فلو إننا قلبنا الأمر أي قلنا: يبعث دجالون كذابون قبل قيام الساعة... يقيناً لا تؤدي كلماتنا المعنى الذي أراده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تقديمه لقيام الساعة على ظاهرة الدجالين المنافقين في الوقت الذي يكون تواجدهم قبل قيام الساعة. ثم لنقرأ المطابقة من جوانب أخرى في الحديث مثل:

أولاً: توظيف الفعل المبني للمجهول (يُبعث) وما يحمله من معنى وظلال المعنى في النص فقد كان تواجده مناسباً جداً للحديث عن هؤلاء المنافقين لما يحمله الفعل في صياغته هذه من دلالة عميقة مناسبة.

ثانياً: توظيف الفعل (يزعم) في قوله: "كلهم يزعم..." وكأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يعطي هؤلاء صورة واحدة وقالباً واحداً في تركيب "كلهم يزعم..."، فهم واحد من حيث المبدأ والمنشأ والغاية، صنائع وأذناب تتبع الأعور الدجال وتروّج له وتمهد له في الأرض، ما جعل الفعل يصاغ صيغة المفرد أي (يزعم) وليس (يزعمون).

ثالثاً: القصدية في قوله (قريب من ثلاثين)، فلعل النبي أراد به تحقير عصبة هؤلاء من خلال عدم إعطاء حصر محدد لعددهم.

ثم لنأخذ ما رواه أبو داود: "... وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي من بعدي، ..."[1]، فهنا غرضا (التنبيه والتحذير) ارتديا حلة لفظية مختلفة عما تقدم نوعاً ما، هذا من جانب، ومن جانب آخر: نرى قصدية اختياره (2) للسين الاستقبالية بدل (سوف) وكأن هذا يشير إلى سرعة تلبد أجواء الساحة الاسلامية بالغيوم السوداء لهؤلاء المنحرفين الضالين المضلين.

---

[1]- سنن أبي داود: الحديث رقم (٤٢٥٢)، ج٢/ ٣٠٢.

أما الجملة الخبرية الأخيرة (وأنا خاتم النبيين) فقد كان لوجودها دور عظيم في بلاغة النص، حيث قامت بترسيخ هذه العقيدة العظمى في أذهان وقلوب المتلقين ثم تأكدت هي أيضاً بجملة (لا نبيّ بعدي) التي كان (فصلها) عن جملة وأنا خاتم النبيين من روائع النص كذلك، حيث ان الباحث يشعر بأن الجملتين بينهما (كمال الاتصال)، فالثانية مُبيّنة للأولى .

ويأتي الخبر نفسه (موصولاً) بما قبله في صحيح البخاري، في رواية : "... ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله..."[1]، وأما في سنن أبي داود فقد ورد الحديث هكذا: "لا تقوم الساعة حتى تخرج ثلاثون دجالون كلهم يزعم انه رسول الله"[2]، فنلاحظ الاختلاف هنا من حيث:

أولا: تبدل الفعل يبعث بالفعل يخرج.

ثانياً: لفظة دجالون –هنا– أدت الدور فلا حاجة لإردافها بلفظة كذابين، فوجود (كذابين) هنا سيخل بالبلاغة.

ثالثاً: نلاحظ كيف صار العدد (ثلاثون) متقدم على (دجالون) كإثراء بلاغي من جوانب مختلفة ثم تتشكل الرواية بتبديل الفعل إلى الشكل التالي: "لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله"[3]، وهنا يحسن التركيز على دلالة الفعل (ينبعث) الذي حل بدلاً من (يخرج) و(يبعث)، من خلال مايأتي:

يشعر الباحث ان في ينبعث –في هذا المقام– تناسباً للدلالة المرادة خاصة انه هنا يذكر بقوله تعالى: "... ولكن كره الله انبعاثهم..."[4]، التي نزلت في المنافقين أيضاً، فكأن الفعل (ينبعث) جعل النص معاضداً لدلالة الآية الكريمة. أن شدة اهتمام الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكشف عن هذه الحقيقة لم يقف عند هذه الأخبار السابقة، بل اتخذ الخبر شكلاً آخر

---

(1)– صحيح البخاري: ٤/١٧٨.

(2)– سنن أبي داود: الحديث رقم (٤٣٣٣)، ج٢/ ٣٢٢.

(3)– سنن الترمذي: الحديث رقم (٢٣١٥)، ج٣/ ٣٣٨.

(4)– سورة التوبة، من الآية ٤٦.

في رواية: "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم"[1]، فكأن هذه الخطورة وهذه الظلمة التي كان لابد لرسول الله من تسليط الضوء عليها (تنبيهاً وتحذيراً) للمسلمين، لا يكفي في أداء معناها الأخبار المتقدمة بل نجد هذا الخبر كيف أكد المعنى من خلال تواتره وتعاضده مع بقية الأخبار في حقيقة أولئك المنحرفين، أئمة الضلالة. فمع هذا الحديث يود الباحث أن يقرأ بلاغته كما يأتي:

أولاً: تصدر النص بالفعل (يكون) وقد أعطى للصورة حركية واستمرارية تصور مدى عبث هؤلاء وتسلطهم في الساحة ردحاً من الزمن حتى تقوم الساعة.

ثانياً: قصدية تقديم الجار والمجرور (في آخر الزمان) على أسم يكون (دجالون) لتكون الصياغة مركزة في قلب المتلقي إذ يبدو ان المراد هنا الحياة في آخر الزمان؛ لأن التقديم والتأخير ليس عبثاً في البلاغة العربية فكيف إذا كان في بلاغة رسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثالثاً: احتاج المقام هنا لتبيان فعل هؤلاء أي الدجل والكذب من خلال الجملة الخبرية: "يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم"، ما جعل اللوحة التوكيدية في النص تتركز وتتكثف بأشكال بلاغية متباينة، وقد فُصِلت جملة (يأتونكم) عن التي قبلها بسبب (كمال الاتصال) بينهما حيث يبدو ان الثانية (مبيّنة) للأولى، من جانب، ومن جانب آخر فقد شكل النص لوحة متناغمة في تباينها من حيث توظيف (الفصل والوصل) معاً في النص وذلك بالشكل الآتي:

بدأ النص بالفصل بين الجملتين الأوُلَيَيْن لما اقتضاه المقام ذلك، ثم صار الوصل مناسباً بين جملة (يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم) وجملة (ولا آباؤكم)، ثم كان لابد من الفصل بين الأخيرة وبين جملة (لا يضلونكم) ووصلها في النهاية بجملة (لا يفتنونكم)، ما شكل سلسلة ذهبية من البلاغة والفصاحة كل قطعةٍ منها كانت في موضعها المناسب.

---

[1]- صحيح مسلم: ٩/١.

أما في شروحات الحديث، فقد تناول المباركفوري رواية: "... حتى ينبعث..."، حيث قال: "قوله: لا تقوم الساعة حتى ينبعث" أي يخرج وفي رواية البخاري (حتى يبعث) قال الحافظ بضم أوله أي يخرج وليس المراد بالبعث بمعنى الإرسال المقارن للنبوة بل هو كقوله تعالى: (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين)[1]، (كذابون دجالون)، وفي رواية البخاري (دجالون كذابون)، قال الحافظ: الدجل: التغطية والتمويه ويطلق على الكذب أيضاً، فعلى هذا فقوله كذابون تأكيد، (قريب من ثلاثين) مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أي عددهم قريب..."[2].

وأما العظيم آبادي فمما قاله: "... (كلهم يزعم انه رسول الله) قال الحافظ: هذا ظاهر في أن كلاً منهم يدعي النبوة وهذا هو السر في قوله في آخر الحديث الماضي (وإني خاتم النبيين)"[3].

ومن الشواهد التي طوت في سياقها مفهوم النفاق رواية: "تفترق أمتي ثلاث فرق: فرقةٌ على الحق لا ينقص الباطل منه شيئاً، تحبوني وتحبون أهل بيتي، . . .[*] إلى أن قال (صلى الله عليه وآله وسلم): "وفرقة على الباطل لا ينقض الحق منه شيئاً، يبغضوني ويبغضون اهل بيتي، مثلهم كمثل الحديد كلما أدخلت النار فأوقدت عليه لم يزده إلا شراً . . ."[4].

مع هذا الشاهد النبوي يفترض أن يركز الكلام على الجانب المتعلق بموضوع الدراسة، أي الفرقة التي اجتمعت على بغض محمد وآل محمد، ويبدو ان علاقة هذا بمفهوم النفاق الضمني يستنتج بالشكل التالي: قوله: "تفترق أمتي" والذي يشير كدليل وقرينة على ان هؤلاء المبغضين هم من الأمة الاسلامية يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

[1]- سورة مريم : من الآية ،٨٣.

[2]- تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي : ٦ / ٣٨٥.

[3]- عون المعبود شرح سنن ابي داود : محمد شمس الحق العظيم آبادي (ت١٣٢٩هـ)،ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ، ٣٢٦/١١.

[*]- وقع الاختصار في النص المتقدم وفي غيره للتركيز على الشاهد المتعلق بالنفاق فقط.

[4]- أمالي الشيخ المفيد، ص٣٠.

وأما عن بلاغة النص، فمن مواطن الجمال فيه، روعة ترتيب جملة (لا ينقص الحق منه شيئاً) والتي تعلقت بالجملة الخبرية (وفرقةٌ على الباطل) وكأن الجملة المصاغة بصياغة النفي بعدها كان من المطابق والمناسب للحال أن تؤكد للجملة الأولى بهذا الشكل الفصيح الخالي من التعقيد ومن كل ما يشوه الكلام، فالجملة توحي باليأس من اصلاح هؤلاء الذين ختم الله على قلوبهم وجوارحهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نلاحظ استمرارية البيان والتفصيل النبوي الشريف حول ماهية هذه الفرقة المبغضة من خلال قوله: "يبغضوني ويبغضون أهل بيتي" إذ لم يقع الاكتفاء بقوله (يبغضوني) مرة واحدة، بل نرى المقام وقد تطلب تكرار هذا الفعل والذي تعلق بالعترة الشريفة الطاهرة فالنبي يؤكد ان هؤلاء المنافقين يبغضونه ويبغضون أهل البيت عليهم السلام من خلال هذه التكرارية التأكيدية لهذا البغض.

وأما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "مثلهم مثل الحديد كلما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزده إلا شراً..." فقد تجلّى البيان النبوي في دقة إصابة هذا التشبيه للغرض والمراد فقد شبه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الفرقة بقطعة الحديد فكأن هذا التشبيه جاء ليؤكد جملة (لا ينقص الحق منه شيئاً) كما يبدو للباحث من خلال تشاركهما للمعنى، فالحديد في كثرة إيقاده في النار لا ينفع كما في الذهب أو صنع القوارير، لذلك اختاره الحبيب المصطفى في التشبيه إذ ان هذا الاختيار تناسب مع رواية: "الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا"[1].

وفي سنن الترمذي:"إذا اتُّخذ الفيء دُوَلاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً، وتُعُلم لغير الدين... فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حَمراء وزلزلةً وخسفاً ومسخاً وقذفاً ..."[2]، إذ يبدو لي أن هذه الجمل الشرطية في بداية الحديث لها علاقة قوية بأحاديث أئمة الضلالة والولاة الغاشين لرعاياهم، فهم أولى بهذه الصفات باعتبار التسلط والهيمنة في مفاصل المجتمع، وأما بلاغياً: فمن المؤثر جداً في السامع أن تتلى عليه هذه الجمل الشرطية المتصدرة بـــ(إذا)، مع عطف

---

[1]- مَجْمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـــ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م، ج١/ ١٢١.

[2]- سنن الترمذي: الحديث رقم (٢٣٠٨)، ج٣، ٣٣٥.

بعضها على بعض بشكل حلقات وهي حلقة واحدة، حتى يبقى السامع ينتظر ماذا سيكون في النهاية بكامل الانتباه والإصغاء، من جهة، وكذلك فإن مراعاة النظم بحسب الغرض المراد جعلت هذه المعاني المستقبلية تصاغ بجمل شرطية وليس بأفعال مضارعة مقرونة بالسين أو سوف.

ومن الجمال البلاغي في النص الشريف توظيف فن السجع ومزجه بالجناس غير التام، فالسجع في قوله: "دولاً ومغنماً ومغرماً" وتشكيل كلمتي (مغنماً ومغرماً) كجناس غير تام ضمن هذه اللوحة الرائعة في التصوير والتعبير، من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ روعة فن الوصل الذي تناسب وتطابق بشكل لا يشوبه خطأ ، فالجمل متناسبة مع بعضها ما أدى إلى ضرورة هذا الوصل.

كذلك ولأن الحديث النبوي قطعة واحدة من مجموعة أجزاء فإننا نلاحظ اكتفاءه (صلى الله عليه وآله وسلم) بـــ (إذا) والفعل المبني للمجهول (اتخذ) في صدر الحديث ولو انه كررهما مع بداية كل جملية شرطية لوقعت الركاكة في التعبير ولم يؤثر في المتلقي كما صدر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،ولعله يمكننا القول أن هذا الاكتفاء تناسب مع انسيابية ذكر الأخبار المعطوفة كي يتلقاها السامع بالشكل المناسب المقبول.

أما قوله: "وتُعُلِّم لغير الدين" فهو دليل واضح على الرياء والغش والخداع في تسربل هؤلاء بلباس الفقه والأخلاق ومصطلحات الشريعة الإسلامية خدمة لأغراضهم الدنيئة المريضة وخدمة لمن أمّرهم وأرسى لهم الدعائم وثنى لهم الوسادة، فصياغة (لغير الدين) جمعت كل هذه المعاني إيجازا وبلاغةً ودقة بيان.

وكذلك نجد التناسب في الصياغة من خلال تناظر الفعلين المبنيين للمجهول (اتُخِذ) و(تُعُلِّم) بهذا القدر والمساحة من النص.

أما جمل الجزاء في النص أي: "فليرتقبوا عند ذلك..." فقد ناظرت ووازنت الجمل الشرطية في البداية إذ نلاحظ الاكتفاء بذكر الفعل (يرتقبوا) مرة واحدة وكأن النص بعد هذه الصياغة المكثفة لا يحتمل تكرار الفعل في الجمل الجزائية، فضلاً عن روعة ترصيع النص بالمفردتين (يرتقبوا) و(ريحاً) مناسبة لحال أولئك المنافقين إذ ان الفعل في صياغته المختلفة

عن صياغة الأفعال (اتخذ وتعلم) أثرى النص بالتنوع اللفظي المتوازن والمنسجم كل الانسجام، فضلاً عن ان الارتقاب هنا فيه من القوة ما يتناسب مع النتائج الكارثية التي ستعصف بهم، وأما قوله (ريحاً) فقد تآزر مع الفعل (يرتقبوا) بل مع سياق الحديث ودلالته الإجمالية كلها، هذا من جانب، وكذلك يلاحظ الباحث الدقة المتناسبة مع المقام في عرض العقوبة باختلاف أشكالها، فهي –بداية– ريح حمراء وكأن الله عز وجل بهذه الريح ينذرهم ويحذرهم ثم بعد ذلك الزلزلة التي هي أقوى من الريح، ومن ثم ما هو أقوى من الريح والزلزلة أي الخسف وبعده ما هو أبشع أي المسخ ثم بعد ذلك القذف.

وجاء في صحيح البخاري رواية:"ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوَكْت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْل كجمرٍ دحرجته على رجلك فنفِط، فتراه منبراً وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال ان في بني فلان رجل أميناً، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان. . ."[1]، يقول النووي في شرح صحيح مسلم: "فالجمر والدحرجة معروفان ونفط بفتح النون وكسر الفاء ويقال تَنفّط بمعناه ومنتبراً مرتفعاً واصل هذه اللفظة الارتفاع ومنه المنبر لارتفاعه وارتفاع الخطيب عليه، وقوله نفط ولم يقل نفطت مع ان الرجل مؤنثة أما أن يكون ذكر نفط إتباعاً للفظ الرجل وأما أن يكون إتباعا لمعنى الرجل وهو العضو، ..." قال صاحب التحرير: "معنى الحديث ان الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً، فإذا زال أول جزء منها، زال نورها وخلفته ظلمة كالوكْت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله فإذا زال شيء آخر، صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى التنفط..."[2]. وأما السيوطي فقد قال فيه: "... التنفط في اليد، من عمل بفأس أو نحوه فيصير كالقبة فيه ماء قليل، فنفِط

---

[1]– صحيح البخاري: ج٧/ ١٨٩.

[2]– صحيح مسلم بشرح النووي: ج٢/ ١٦٩.

بكسر الفاء وذكره مع ان الرجل مؤنثة لازادة العضو، منتبراً، بنون مثناة فوقية ثم موحدة وراء: مرتفعاً، ومنه المنبر..."[1]، وعموماً فإن هذا النص قد فصّل وبيّن تدرج زوال الأمانة في المستقبل غير المشرق من الزمان، بشكل أدبي بلاغي غاية في الدقة والبيان والفصاحة، ويريد الباحث أن يقرأه من الجوانب الآتية:

الجانب الأول: الدقة والقصدية في اختيار المفردات التي صورت حركية هذا التدرج نحو السفال والاضمحلال، وذلك من خلال الفعل المضارع (ينام) والفعل المضارع المبني للمجهول (تقبض) والفعل (يظل) وكذلك الفعل (ينام) و(تقبض) والفعل (يبقى) هذا من جانب، ومن جانب آخر نلاحظ السرعة في الاحداث لهذه الصورة من خلال اختيار (الفاء) والتي كثر ذكرها في النص مع الأفعال.

الجانب الثاني: نجاح النص من خلال هذه الصياغة للأخبار المتواصلة في شد الانتباه واحضار القلب كي يُعرف ما سيكون أخيراً بعد هذه التداعيات الجسيمة التي طالما ركز الإسلام في أسسها ودعائمها.

الجانب الثالث: نجاح النص كذلك من خلال الصياغة البيانية التي أدتها صورتا التشبيه، تشبيه أثر الأمانة بالوكْت أولاً، وقد أوضح معناه النووي، فكأن دلالة ذلك أريد بها الإنذار الإلهي في تضييع الأمانة وقد جسد هذا التشبيه صورة مجازية غاية في الروعة، اذ مثل (صلى الله عليه وآله وسلم) مكان الأمانة من القلب وهو شيء غير ملموس بالشيء الملموس أي الوكْت، وأما التشبيه الثاني: فقد تآزر في الحسن والفصاحة مع الأول من خلال اختيار الجمر ودحرجته على الرجل إذ أن الجمر مناسب لصورة الخيانة واستحلال الحرام، فيكون رد الفعل للرجل رداً شكلياً لا أثر له ولا فائدة وقد صور هذا المعنى قائلاً: فتراه منتبراً، أي مكان الأمانة من القلب، وليس فيه شيء، وكذلك نلاحظ كيف صور هذا التشبيه تأزم المرحلة بعد مرحلة (الوكْت) الأولى، وأيضاً من خلال سرعة حركية تآزرت مع السرعة التي جسدتها الأفعال المقترنة بالفاء، من خلال الفعل تراه، واقترانه بالفاء.

---

[1]- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: ١٥٨/١.

الجانب الرابع: النتيجة التي ولدت بعد النومة الأولى والتي يبدو انها نومة الغفلة وذلك تعبير مجازي، وكذلك النومة الثانية، فالنتيجة هنا خلو المعاملات وللأسف الشديد من الأمانة إلا ما ندر من خلال قوله: "فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال ان في بني فلان رجلاً أميناً...".

الجانب الخامس: والذي يرى فيه الباحث تفصيلاً وتوكيداً من خلال جمل التعجب (ما أعقله، ما أجلده، ما أظرفه) توكيد لصورة المخادع المنافق، هذه الصورة التي تجذرت أسسها في مساحة واسعة جداً من الحياة في هذه الأيام، فهذا الجزء من النص يذكر بانقلاب الموازين من خلال الحديث النبوي الشريف: "... فكيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً"[1].

الجانب السادس: الصورة المجازية التي مثلتها بكل جدارة عبارة "وما في قلبه مثال حبة خردل من ايمان" ويشعر الباحث ان المجاز هنا من خلال حبة الخردل كناية عن القلة للتعبير عن مدى خلو هذا القلب المظلم من أدنى درجات الايمان وفي سنن ابن ماجة يرد النص باختلاف لفظي، من مثل: "كأثر الوكت" بدلاً من قوله: "مثل أثر الوكت" ومثل: "... وحتى يقال للرجل ما أعقله وأجلده وأظرفه وما في قلبه حبة خردل من ايمان"[2]، فمع فرض ان النص الاخير قيل في مناسبة غير المناسبة الأولى فإذاً نحن أمام تنوع بلاغي فرضه المقام من خلال هذا التنوع نلاحظ ان الجمل التعجبية الأخيرة في نص البخاري لم تكتفِ (بما) واحدة، إذ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): "ما أعقله وما أظرفه وما أجلده" حيث تطلب المقام هذه التكرارية والتي هي صورة من صور التوكيد، بينما على العكس من ذلك في نص ابن ماجة، إذ نلاحظ كيف صار الاكتفاء هو المناسب للمقام في قوله: ما أعقله وأجلده وأظرفه، فقد يفسر هذا أن النص الأخير قيل بعد الأول ما دعاه (صلى الله عليه وآله وسلم) لإجراء هذا التغيير، كإحتمال.

---

[1]- منتهى المطلب: العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، مقابلة: حسن بيشنماز، الناشر: حاج أحمد، تبريز، ١٣٣٣، ج٢/ ٩٩٢.

[2]- سنن ابن ماجة: ١٣٤٦/٢.

ثم نجد الرواية وقد تكررت في صحيح مسلم كالأتي: "... حتى يقال ان في بني فلان رجلاً أميناً (حتى يقال) للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان..."[1]، ففي هذا الشاهد تكرر قوله: "حتى يقال" ولعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد من ضمن ما أراده أن ينوع في مستويات وأشكال التوكيد ضمن موضوع واحد صيغ بأكثر من حديث.

ومن بديع بلاغته وفصاحته (صلى الله عليه وآله وسلم) التناغم والانسجام الصياغي في توظيف قوله: "وما في قلبه..." إذ صارت أداة النفي (ما) في مصاف (ما) التعجبية المتكررة إلا انها نقلت المعنى عن دائرة التعجب إلى النفي، أي في سياق واحد تكررت (ما) حتى نقلت المتلقي إلى معنى آخر هو النفي.

ولم يقف البيان النبوي لهذه الخطورة عند هذا الحد بل نجد في سنن ابن ماجة رواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "سيأتي على الناس سنوات خدّاعات يُصدّق فيها الكاذب ويُكذّب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخوّن فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة"[2]، ويلمس الباحث معالم الفنون البلاغية في هذا النص من خلال الأشكال الآتية:

الشكل الأول: مناسبة المقام لاقتران السين بالفعل (يأتي) وكأن الدلالة لهذا توحي بقرب هذه الأزمة الكبرى من الزمان.

الثاني: التزاوج الفني والتداخل العجيب في توظيف (العكس والتبديل) الذي جسده قوله عليه وآله الصلاة والسلام :((يصدّق فيها الكاذب ويكذّب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخوّن فيها الأمين)).

الثالث: دقة توظيف التقديم والتأخير، تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور (فيها) والتي تكررت في النص خمس مرات، في قوله: يصدق (فيها) الكاذب، ويكذب (فيها)

---

[1]- صحيح مسلم: ١/٨٨-٨٩.

[2]- سنن ابن ماجة: الحديث رقم (٤٠٣٦)، ج٢/ ١٣٣٩-١٣٤٠.

الصادق، ويؤتمن (فيها) الخائن، ويخون (فيها) الأمين، وينطق (فيها) الرويبضة، إذ يبدو ان المقام تطلب تأكيد المعنى من خلال هذه التكرارية من جهة وكذلك اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمقدَّم.

الرابع: نلاحظ جمالية الوصل والفصل في حلقات النص كلها فالوصل كان طرحه مناسباً جداً بين جمل متناسبة لكونها جملاً خبرية ومتصدرة كلها بأفعال مبنية للمجهول.

وتأتي رواية غربة الاسلام لتشكل شاهداً آخر على مفهوم النفاق الضمني حيث وردت رواية:"... ان الاسلام بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي"[1]، ولأن النفاق في شُعَب ومستويات إذاً يمكن القول ان النص متضمن للنفاق من هذا الجانب، وممكن أن يقال في هذا المعنى كناية عن قلة المخلصين العاملين بشرائع الإسلام.

ومن الآراء القديمة في معنى غربة الإسلام، ما بيّنه الجزري من أن الإسلام كان أول مرة كالغريب الوحيد الذي لا أهل له لقلة المسلمين يومئذ، ثم يرجع غريباً كما بدأ[2]، وفي المضمون نفسه تقريباً جاء في (النهاية في غريب الحديث والأثر): "... انه كان في أول مرة كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده، لقلة المسلمين يومئذٍ، وسيعود غريباً كما كان: أي يقل المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء"[3]، ونجد هذا المعنى في مصنف (المجازات النبوية) للشريف الرضي حيث قال: "وهذا الكلام من محاسن الاستعارات وبدائع المجازات، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل الإسلام غريباً في أول مرة تشبيها بالرجل الغريب الذي قلّ أنصاره، وبعدت دياره، لأن الإسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره، ثم استقرت قواعده، واشتدت معاقده، وكثر أعوانه، وضرب جرانه، وقوله عليه الصلاة والسلام: "وسيعود غريباً" أي يعود إلى مثل الحال الأولى في قلة المسلمين العاملين بشرائعه، والقائمين

---

[1]- سنن الترمذي: الحديث رقم (٢٧٦٥) ج٤/ ١٢٩.

[2]-ينظر: بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت،١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ،٥٢ /١٩١.

[3]- النهاية في غريب الحديث والأثر:ج ٣، ص ٣٤٨.

بوظائفه، لا انه –والعياذ بالله– تُمحّى سماته، وتُدرس آياته"[1]، وفي هذا الرأي مطابقة لواقع الأمر وما عليه الحال، على عكس ما صوره الرأيان السابقان في (البحار) و(النهاية) إذ توحدا على عودة الإسلام كما كان غريباً (بمعنى الاندراس) في حين ان الواقع ليس كذلك كما هو ملموس.

ويكتفي البحث بهذا الاستعراض من الآراء القديمة معرجاً على مهمته في الكشف عن المضامين البلاغية في النص النبوي الشريف وذلك من خلال النقطتين الآتيتين:

النقطة الأولى: جمالية الفصل بين قوله: "فطوبى للغرباء" وجملة "الذين يصلحون ما أفسد الناس..." إذ ان (شبه كمال الاتصال) بين الجملتين تطلب هذا الفصل، لإن الجملة الثانية يبدو انها جواب عن سؤال دار في ذهن السامع تقديره: من هم الغرباء؟!

والثانية: توظيف التقديم في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "... يصلحون ما أفسد الناس (من بعدي) من سنتي" ولم يقل (ما أفسد الناس من سنتي من بعدي) ولعل هذا يشير إلى اهتمامه (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا المعنى وتركيزه عليه ما استدعى أن يقدم ويؤخر في الصياغة.

في رواية: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وعقد سفيان بيده عشرةً) قلت: يا رسول الله أَنَهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذ كثر الخبَث"[2]، نجد معنى(الخبث) وقد شمل النفاق والمنافقين لا محالة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار عدم اندراس الإسلام من الأرض كما أكد ذلك الشريف الرضي وكما هو واقع حالياً.

وأما في شرح النووي على صحيح مسلم فقد فسر الخبث بالشكل الآتي: "قال إذا كثر الخبث هو بفتح الخاء والباء وفسره الجمهور بالفسوق الفجور وقيل المراد الزنا خاصة وقيل أولاد الزنا والظاهر انه المعاصي مطلقاً"[3]. ومع قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إذا كثر

---

[1]– المجازات النبوية: ص٤٧.

[2]– صحيح مسلم: ج٨/١٦٥-١٦٦.

[3]– صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٨/ ٣.

الخبث" تتجلى الفصاحة بأبهى حلتها حيث أوجز النبي في هذه الكلمة عن معانٍ عدة كالفسوق والفجور والنفاق والغش والرياء.

ثم لننتقل إلى لوحة بلاغية عظيمة، صوّر فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) النفاق والمنافقين من خلال عدم التصريح حيث ورد في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم ذات يومٍ قسماً فقال ذو الخويصرة –رجل من بني تميم–: يا رسول الله إعدل، فقال: "ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟، فقال: عمر: ائذن لي يا رسول الله فلأضرب عنقه، قال: لا، إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيّه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قَذَذِه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث والدم، يخرجون على حين فرقة من الناس، آياتهم رجل إحدى يديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدَر"[1]، وقد جاء في شرح هذا الحديث في كتاب فتح الباري لإبن حجر العسقلاني: "... فإن ظاهر مقصوده أنهم خرجوا من الإسلام ولم يتعلقوا منه بشيء كما خرج السهم من الرمية لسرعته وقوة راميه بحيث لم يتعلق من الرمية بشيء، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "سبق الفرث والدم..."[2].

وأما في مصنف (الفايق في غريب الحديث) للزمخشري فقد جاء: "شبههم في دخولهم في الاسلام ثم خروجهم منه لم يتمسكوا من علائقه بشيء، بسهم أصاب الرمية ونفذ منها لم يتعلق به شيء من فرثها ودمها لفرط سرعة نفوذه."[3].

وأما في المجازات النبوية للشريف الرضي ضمن معنى المروق من الرمية فقد جاء: "وفي هذا القول مجاز: لأنه عليه الصلاة والسلام شبّه دخولهم في الدين وخروجهم منه

---

[1]– صحيح البخاري: ج٧/ ١١١.

[2]– فتح الباري: ج١٢/ ٢٦٧.

[3]– الفايق في غريب الحديث: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ج٣/ ٢٣٤.

بسرعة –من غير أن يتعلقوا بعقدته أو يعيقوا بطينته– بالسهم الذي أصاب الرمية، وهي الطريدة المرمية، ثم خرج مسرعاً من جسمها، ولم يعلق بشيء من فرثها ودمها، وذلك من صفات السهم الصائب، لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة"[1]، إذاً في هذا الحديث الشريف صورة بلاغية لقوم يحرصون على الشعائر والعبادات وذلك من خلال تمسكهم الظاهري الخادع للدين في أداء الصلاة الطويلة والصيام الكثير ولكنهم خارجون عن الدين وكان سعيهم في ضلال وهم يحسبون أنهم على شيء حسن وهذا المعنى عبر عنه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بصياغة بلاغية غاية في الدقة والروعة[2] وهي قوله: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم"، ولعل المجاز في هذا الوصف تجلى في أداء معنى كبير أي معنى التدين الظاهري المثير للعجب والدهشة من خلال ذكر البعض والذي يراد به الكل أي انه (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر الصلاة والصيام للتعبير عن معنى واسع.

واللافت للانتباه هذه المساحة التوكيدية من خلال البسط والتفصيل في وصف هؤلاء المنافقين الخوارج ويتجلى هذا التفصيل في مساحة التشبيه التمثيلي لهم بالسهم الذي أصاب الرمية والذي لا شيء منه يدل على هذه الإصابة، إذ أن المقام تطلب أن يركز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يركز المعنى في الأذهان من خلال عرض أجزاء السهم (النضى والقذذ والرصاف) فكان هذا التشبيه غاية في الدقة والتصوير. وفي رواية اخرى : "دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم..."[3]، فاللافت للانتباه ذكره (صلى

---

[1]– المجازات النبوية: ص٤٨.

[2]– ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف: محمد بن لطفي الصباغ ، ط١،المكتب الاسلامي ،بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م، ص٤٦٧_٤٦٨.

[3]– صحيح البخاري: ج٤/ ١٧٩.

الله عليه وآله وسلم) "يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم" وكأن تأكيد المعنى احتاج هنا هذه الصورة المجازية إذ جسد قوله هذا كناية عن عدم قبول قراءتهم للقرآن الأمر الذي أغنى الصورة من جميع النواحي.

وفي سنن ابن ماجة: "ليقرأن القرآن ناسٌ من أمتي، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية"[1]، حيث يلاحظ كيف اتخذ التوكيد على المعنى شكلاً آخر من خلال اللام التوكيدية المقترنة بالفعل (يقرأ) والنون المشددة وكأن المناسبة التي قيل هذا النص فيها تطلبت هذا الشكل من الصياغة.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، إذ يرد في سنن ابن ماجة أيضاً: "تخرج قوم في آخر الزمان، أو في هذه الأمة، يقرؤون القرآن لا تجاوز تراقيهم، أو حلوقهم، سيماهم التحليق، إذا رأيتموهم، أو إذا لقيتموهم فاقتلوهم"[2].

وأما في سنن أبي داود، فقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): "سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد على فوته، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم"[3]، ومع هذا الحديث نلاحظ قصدية توظيف قوله: "القيل" بدلاً من القول، إذ يبدو ان اللفظة هنا قد أدت دلالة عميقة لا تنجح في أدائها لفظة (القول)؛لان (قيل) متناسبة مع احتقارهم وانحرافهم الداخلي كاحتمال بالاضافة إلى روعة توظيف الكناية من خلال قوله: "لا يرجعون حتى يرتد على فوته" فهذه العبارة، كناية عن عدم رجوعهم للاسلام، على ما يبدو.

---

[1]- سنن ابن ماجة: الحديث رقم (١٧١)، ج١/ ٦١.

[2]- م ،ن: الحديث رقم (١٧٥)، ج١، ٦٢.

[3]- سنن أبي داود: الحديث رقم (٤٧٦٥)، ج٢/ ٤٢٨.

ونلاحظ في جملة "هم شر الخلق والخليقة" تجلي فن الجناس غير التام وضرورته في إعطاء الصورة شكلاً جديداً من الفنون البلاغية.

وأيضاً في صحيح البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة"[1]، وهنا تتجلى روعة بلاغية أخرى مع هذا النص في قوله: "حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام" حيث أدت هذه الصياغة بلاغة مكثفة، فقوله: "(حدثاء الأسنان) كناية عن صغر أعمارهم، هذا احتمال، والاحتمال الآخر: هو كناية عن قلة الخبرة والمعرفة، وقد انسجم هذا مع قوله "سفهاء الأحلام في سجع بعيد عن التكلف، غاية في الفصاحة والدقة والجمال.

ولا يقف عند هذا الحد بل نجد رواية في سنن ابن ماجة هي: "ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم"[2]، وكذلك تتبدل كلمة حدثاء بـــ(أحداث) في قوله: "يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم. يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية. فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم"[3]، وفي رواية أخرى،:"إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين..."[4]،ففي الرواية (كناية) في قوله عليه وآله الصلاة والسلام –(يتلون كتاب الله رطباً)اي كتابة عن حسن الصوت وقد قال بذلك القرطبي في(فتح الباري شرح صحيح البخاري)[5]،وكذلك ورد: "ان من ضئضئ هذا قوم يقرؤون

---

(١)– صحيح البخاري: ج٦/ ١١٥.

(٢)– سنن ابن ماجة: الحديث رقم (١٧٤)، ج١، ٦١.

(٣)– م. ن: الحديث رقم (١٦٨)، ج١/ ٥٩.

(٤)–صحيح البخاري: ج٥/ ١١١.

(٥)– ينظر: فتح االباري شرح صحيح البخاري : ٢٦٠/١٢.

القرآن لا تجاوز حناجرهم..."[1]. فالضئضئ في شرح النووي لصحيح مسلم هو أصل الشيء[2]، وأما اللافت للانتباه في كل هذه النصوص، توظيف الفصل بين الجمل وكأن أداة الوصل إذا دخلت بينها أفسدت جماليتها وبلاغتها، وتوضيح ذلك كالآتي: في الحديث الأخير وقع الفصل بين جملة "يخرج في آخر الزمان..." وجملة "يقولون من خير قول الناس" وجملة "يقرؤون القرآن" وجملة "لا يجاوز تراقيهم" وجملة "يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم..." ولعل هذا راجع إلى (كمال الاتصال) بين الجمل، حيث ان الجمل الخبرية المفصولة كلها صفات، ولأن جملة الصفة تابعة لجملة الموصوف فقد تجلى النص بهذه الروعة البلاغية.

---

[1]- صحيح البخاري :ج٨/ ١٧٨.

[2]- ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ج٧/ ١٦٢.

الفصل الثالث

المنافقون من خلال سماتهم

المبحث الأول - المنافقون في سماتهم الصريحة

المبحث الثاني - المنافقون في سماتهم غير الصريحة (الضمنية أو السياقية)

المبحث الأول

المنافقون في سماتهم الصريحة

أولا: الحيرة والتخاذل

لا شك ان القارئ الكريم على علم بأن نفس المنافق دوماً في قلق واضطراب، وهذا ما صورته الآية الشريفة في قوله تعالى: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا)[1].

ومن الشواهد النبوية الكريمة التي آزرت هذه الحقيقة الراسخة في سمة النفاق، رواية: "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير في هذه مرة وفي هذه مرة لا تدري أيها تتبع"[2]، فالنص تضمن تشبيهاً تمثيلياً كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وقد لخص هذا التشبيه بصياغته البيانية الواضحة كل معنى الحيرة والتردد والقلق الذي يصاحب المنافق، فهو ضعيف مهزوز كالشاة تماماً تتردد بين قطيعين من الغنم، ينظر في تردده هذا أين تكمن المصلحة والمستقبل المأمون المضمون[3].

وقال الطيبي في هذا المعنى: "شبه تردده بين المؤمنين والكافرين تبعاً لهواه وقصداً لأغراضه الفاسدة كتردد الشاة الطالبة للفحل فلا تستقر على حال ولذلك وصفوا في التنزيل "مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء"[4].

وفي الحديث إطناب –على ما يبدو– كانت مهمته الإيضاح بعد الإبهام وذلك في قوله: "تعير في هذه مرة وفي هذه مرة لا تدري أيها تتبع"، وقد انطوى في ذلك حركية مستمرة لهذا الاضطراب من خلال توظيف الفعل المضارع (تعير).

---

(1)– سورة النساء: الآية: ١٤٣.

(2)– سنن النسائي: ج٨/ ١٢٤.

(3)– ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف : ص٤٦٦.

(4)– فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٥/ ٦٥٨.

كذلك من الروايات التي كانت شاهداً على تخاذل المنافقين عن الجهاد :"من مات ولم يغزُ ولم تحدث به نفسه مات على شعبةٍ من نفاق"[1]، وفي كتب الشروحات ذكر السيوطي في (الديباج) ضمن قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "على شعبة من نفاق" (أي: خلق من أخلاق المنافقين)[2]، والتحليل في نقاط عدة:

النقطة الأولى: الغرض البلاغي الذي أفاده الخبر كان مجازياً حيث كان يراد منه التحذير أي تحذير المسلمين من ترك الجهاد الذي هو باب فتحه الله لخاصة أوليائه.

الثانية: المعنى المجازي الذي أداه حرف الجر (على) في قوله: "... مات على شعبة من نفاق" إذ لم يأتِ بمعنى الظرفية بل لتوكيد السمة في المنافق.

الثالثة: اختيار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الدقيق للكلمات التي يكون في تكرارها جمالٌ وبلاغةٌ، فقد تكرر الفعل (مات) والأداة (لم) في حين لم يتكرر (الغزو) أي لم يقل: من مات ولم يغزُ ولم يحدث بالغزو نفسه بل عوّض عن الأسم بشبه الجملة (به).

ثانياً: الظاهر الحسن البرّاق

يجدر بنا تسليط الضوء على الجانب الخادع البراق من المنافقين حيث قال الله تعالى: (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشبٌ مسندة تحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)[3]، فقد جاء في (الكشاف) للزمخشري ما مفاده ان أحد أبرز عناوين النفاق في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عبد الله بن أُبيّ، انه كان رجلاً جسيماً صبيحاً فصيحاً ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته، وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيستندون فيه، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن[4].

---

[1]- صحيح مسلم: ج٦/ ٤٩.

[2]- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: ٤/ ٥٠٢.

[3]- سورة المنافقون: الآية: ٤.

[4]- ينظر الكشاف: ج٤/ ٤٠٨.

ومما ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الموضوع: "خلتان لا تجتمعان في منافق: فقهٌ في الاسلام وحسن سَمْتٍ في الوجه"[1]، إذ يلمس الباحث فن الإطناب هنا وتحديداً فن (التوشيع) حيث بدأ النص بمثنى وهو قوله (خلتان) ثم فسره (صلى الله عليه وآله وسلم) بمعطوف ومعطوف عليه أي قوله: (فقه في الإسلام)، وقوله (وحسن سَمْتٍ في الوجه)، وكذلك يطلق على هذا الفن اسلوب الإجمال والتفصيل.

وأما في سنن الترمذي فقد جاء الخبر بالشكل الآتي: "خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت ولا فقه في الدين"[2].

ومن الشواهد النبوية التي صورت الظاهر الحسن للمنافقين، رواية: "... ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مُرٌّ ولا ريح لها"[3]، حيث ان التشبيه جاء مؤكداً من خلال إضافة الكاف إلى الأداة (مثل) في قوله "كمثل الريحانة..." وهو تشبيه تمثيلي فيه المشبَّه أي المنافق مُثِّلَ بالريحانة التي طاب ريحُها ومُرٌّ طعمها وقد أدى هذا التشبيه دلالة عميقة مفادها ان وراء هذا الظاهر الجميل من حسن القراءة للقرآن الكريم محتوى فارغ لا جدوى ولا نفع فيه وقام هذا التشبيه بطريقة وصورة لا لبس أو تعقيد فيها، فلا أحد يحتاج إلى تأمل وإجالة فكر حول حقيقة مُسلّم بها أعني حقيقة الريحانة والتي هي في متناول الجميع.

ومن ثم يترصع هذا التشبيه التمثيلي بفنٍ بلاغي آخر تداخل وتمازج فيه ألا وهو اقتضاء المقام تركيز وتوثيق هذه الصورة من خلال الجملتين الخبريتين أعني قوله: "ريحها طيبٌ وطعمها مر" وكان من الضرورة البلاغية والفنية فصل الجملة الأولى عما قبلها، أي، فصلت "ريحها طيب..." عن جملة التشبيه وإن ما استدعى الفصل هذا هو شبه كمال الاتصال إذ قد تكون جملة ريحها طيب جواباً عن سؤال دار في ذهن المتلقي ولعل وراء ذلك

---

[1]- أمالي الشيخ المفيد: ص٢٧٤، والسمت -بالفتح- هيأة أهل الخير والصلاح.

[2]- سنن الترمذي: الحديث رقم (٢٨٢٥) ج٤/ ١٥٤.

[3]- سنن ابن ماجة: ج١/ ٧٧.

أكثر من سبب مثل: تنبيه السامع واغناؤه عن السؤال ولئلا ينقطع كلام المتكلم بسؤال المتلقي أو ربما أكثر من ذلك.

ثم يتشكل التشبيه التمثيلي في الحديث نفسه بصورة أخرى ضمن الفن نفسه، أي: هو تشبيه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة المعروفة بقوة مرارة طعمها وأيضاً بالطريقة البلاغية نفسها يأتي الحبيب المصطفى بالكاف قبل (مَثَل) ثانية من باب التوكيد وكذلك يفصل بين جملة التشبيه والجملة الخبرية (طعمها مر) ويبدو ان السبب نفسه تكرر هنا، من جهة، ومن جهة أخرى نرى فن الوصل وقد احتاجه المقام إلى وصل الجملتين الخبريتين في التشبيه الأول وكذلك في التشبيه الثاني حيث وصل في قوله: "ريحها طيب وطعمها مر"، وكذلك وصل (صلى الله عليه وآله وسلم) بين قوله: "طعمها مُرٌّ ولا ريح لها" حيث ان التناسب بين هذه الجمل الاسمية اقتضى هذا الوصل فأدى النص لوحة رائعة من خلال هذا التباين بين الفصل ثم الوصل من جهة وبين تباين الصور التشبيهية المستوحاة من صميم حياة أهل المدر والوَبَر.

إذاً فنحن أمام صنفين من المنافقين، صنفٌ يقرأ القرآن ولكنه لا يعمل به فهو ضال لا يهتم بهدي الله وقد شبهه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالريحانة في حسن الظاهر وفساد الباطن وهذه المرارة في محتواه الحقيقي إنما صنعها النفاق في سلوكه، كما انه ليس في الحديث ما يدل على المدح والإطراء لهذا الصنف، بل على العكس هو ذم بدلالة صريح لفظ النفاق في الحديث[1].

وأما الصنف الآخر فهو تصوير لمنافق لا يقرأ ولا يعمل بالقرآن الكريم اقتضى تشبيهه بالحنظلة من حيث مرارة الظاهر والباطن[2].

وأما في صحيح البخاري فقد وردت الرواية باختلاف يسير كالآتي: "... ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر"[1]، إذ نلاحظ كيف اختلف أسلوب

---

[1]- ينظر: الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، د. فالح حمد الحمداني، ط١، مؤسسة الوراق، الأردن، ٢٠٠١م، ص١٦٤.

[2]- ينظر: م. ن، ص١٦٤.

النفي وتحول من النفي بلا النافية للجنس من غير تقديم شبه الجملة (فيها) على اسمها (ريح) أي كانت الجملة هكذا: "لا ريح لها" فأدت بلاغة التوكيد بهذا الشكل ثم نلاحظ كيف تغير ذلك بأسلوب توكيدي آخر من خلال اعتماد التقديم والتأخير في نص البخاري أي قوله: "ليس (لها) ريح" مع اعتماد النفي بليس ما يجعل النص في صياغته هذه وتلك من شواهد ضرورة المطابقة للمقام حيث تطلب هناك التوكيد بـــ(لا) النافية للجنس ثم التوكيد بالنفي بـــ(ليس) مع التقديم والتأخير كي يتحقق التوازن بين الدلالتين.

ثالثاً: السلامة من البلاء

وردت روايات شريفة دالة على إبعاد المنافقين من دائرة البلايا والمحن في الدنيا وربما من أسباب هذا الإبعاد تمحيص المؤمنين واختبارهم عندما ينظرون إلى الفسقة والمنافقين لا يصيبهم مكروه في الدنيا، ولعل معنى الاستدراج الذي جاء في آي الذكر الحكيم له صلة بذلك، حيث قال الله جل جلاله: "والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون"(٢).

وان من شواهد الحديث النبوي الشريف في ذلك رواية:"مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد"(٣)، حيث كان التشبيه التمثيلي في غاية الدقة والروعة في تصوير المنافق خاصة إذا ما قارنا بين صورة المؤمن وما يعتريه ويصيبه في هذه الدنيا وبين صورة المنافق الذي شبه بشجرة الأرز الشامخة الصلبة التي لا تؤثر فيها الريح إلا ان ذلك له وقت معلوم وعدد من الساعات والأيام، كما نلاحظ بلاغياً كيف تجسد التوكيد في هذه الصورة من خلال الكاف المتصلة بأداة التشبيه (مثل)، وكما مر بنا في حديث قراءة القرآن وكذلك نلاحظ كيف عاد فن الفصل في قوله: "لا تهتز حتى تستحصد" حيث فصلت الجملة الخبرية عن جملة التشبيه ولعل وراء ذلك سبب شبه كمال الاتصال بينهما وكأن السامع أراد أن يسأل كيف ذلك يا رسول الله؟ فأجاب

---

(١)- صحيح البخاري: ج٦/ ٢٠٧.

(٢)- سورة الأعراف: الآية: ١٨٢.

(٣)- صحيح مسلم: ج٨/ ١٣٦.

(صلى الله عليه وآله وسلم) عن سؤاله بهذه الجملة الخبرية من غير وصل، ومن جهة أخرى لعل الجملة الخبرية الأخيرة جاءت لتوكيد وترسيخ هذه الصورة أي صورة المنافق.

وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "... ومثل المنافق مثل الأرزة المجذية التي لا يصيبها شيء حتى يكون اجتعافها مرة واحدة"[1]، فنلاحظ كيف اختفت الكاف في هذا التشبيه عن (مثل) الثانية، وقد يكون سبب ذلك ورود هذا الحديث بعد الأول فكان مقتضى الحال أن عمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى إجراء التغيير في جملة التشبيه التمثيلي.

رابعا: المماراة وحسن الكلام

وهذا شكل آخر من سمات المنافقين، شكل المغالطة في اللسان أو السفسطة كما في مصطلحات كتب الفلسفة، فقد ورد عن النبي الأقدس الأنور صلى الله عليه وآله قوله: "الحياء والعِيّ شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق"[2]، إذاً فالمعنى قد أدته كاملة الجملة الخبرية موضع البحث أي قوله "والبذاء والبيان شعبتان من النفاق" والتي لم تخرج بكثافة توكيدية كما هو ملاحظ إذ ليس الأساس في البلاغة دائما التوكيد بكل ألوانه بل نلاحظ من الخبر هذا بلاغة لا تقل شأناً عن بلاغة التقديم والتأخير أو التوكيد بالحرف أو غيره، وقد وصل الخبر بجملة الايمان وذلك للمناسبة بين الجملتين في الخبرية.

واللافت للانتباه ان الرسول عبر عن مغالطاتهم وجدالهم وحسن كلامهم بالبيان وهذا ليس مدحاً فكيف يكون مدحاً وقد صرح (صلى الله عليه وآله وسلم) بلفظة النفاق، إذ قد يصح القول ان المناسبة اقتضت أن يعبر عن توسعهم في الخطاب وتنطعهم في الكلام بلفظة البيان مع العلم ان قلوب المنافقين اشد ظلمة من أن ينالها نور البيان.

وفي (تحفة الأحوذي) يفسر المصنف (البيان) بالفصاحة الزائدة عن مقدار الحاجة من خلال التعمق بالنطق وإظهار التفاصح للتقدم على الأعيان، ثم ينقل المصنف عن التيسير ان (شعبتان من النفاق) هما خصلتان منشؤهما النفاق أو مؤديان اليه وأراد بالبيان هنا كثرة

---

[1]- صحيح مسلم: ج٨/ ١٣٦.

[2]- سنن الترمذي: الحديث رقم (٢٠٩٦)، ج٣/ ٢٥٣.

الكلام والتكلف للناس بكثرة التملق والثناء عليهم وإظهار التفصح وذلك ليس من شأن أهل الإيمان[١].

ولهذا المعنى ينبه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مرات عن خطورة هذا الأمر بقوله: "ألا هلك المتطعون"[٢] يرددها ثلاث مرات، فالمتنطعون (في المصدر نفسه): أي المغالون، وتنطع في كلامه تعمق فيه وغالى وتكلم بأقصى حلقه تكبراً.

ومن الشواهد النبوية الشريفة التي دلت على احتواء لسان المنافق للحكمة رواية: "... وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، ..."[٣]، ومعلوم نحوياً ان الحرف (قد) إذا دخل على المضارع أفاد التقليل فالرسول الأكرم ينبه ويحذر من الوقوع في شرك المنافق حين يقول الحق فهو يريد به الباطل لا محالة.

ويحتمل البحث المجاز في قوله: "كلمة الحق" فهذا جزء يراد منه الكل لأنه من الممكن جداً أن يستطيل كلام المنافق بالحق لأكثر من مقدار الكلمة إلا أن البلاغة النبوية حجمت كيد المنافق وما يريده بهذا النوع من المجاز.

خامساً: الوضاعة بالرغم من الشرف الظاهري

الإسلام نور يشق في ضيائه الساطع كل ظلمة وحجاب، لذا فإننا نرى هذا النور نافذاً في عمق النفاق والمنافقين ليكشف عن زيفهم وخداعهم ودجلهم بالرغم من جمال الصور وزينة الظاهر فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الصور بل إلى القلوب وما من شك في هذه الحقيقة، لذلك نهى نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نتملق ونعظم المنافق في رواية: "لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يكُ سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل"[٤]، فالنهي واضح في النص من خلال جزم الفعل المضارع (تقولوا) بلا الناهية الجازمة، من جانب، ومن

---

[١]- ينظر: تحفة الأحوذي في شرح سنن الترميذي، ج٦/ ١٤٧.

[٢]- سنن ابي داود : الحديث رقم (٤٦٠٨)، ج٢/ ٣٩٣.

[٣]- م ، ن: الحديث رقم (٤٦١١)، ج٢/ ٣٩٤.

[٤]- م ، ن: الحديث رقم (٤٩٧٧)، ج٢/ ٤٧٢.

جانب آخر نجد التوكيد بالحرف في النص من خلال قوله (فإنه)، إذ تأكدت الجملة الخبرية (الشرطية) بتصدرها (إن) ووقوعها بعد الجملة الإنشائية (لا تقولوا...) كي تتكون الصياغة عموماً من إنشاء نوعه طلب ثم خبر مطابقة للمقام ولو كان على العكس لما حدثت فيه البلاغة.

ومن اللافت للانتباه اكتفاء الفعل المضارع الناقص (يكون) من خلال عدم ايراد النون في (يكُ) حيث تناسب هذا الاكتفاء مع احتقار شأن المنافق مهما كان وجيهاً ورئيساً.

ومما صور احتقار المنافق وضعة شأنه ماروي عنه: "إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل، وان المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم يدر لم أرسلوه"[1](*)، فهذه مقارنة بيانية نبوية أخرى بين مكانة المؤمن عند الله وبين مكانة المنافق الذي اختار الحبيب (صلى الله عليه وآله وسلم) له التشبيه بالبعير من واقع وصميم البيئة العربية، فالتشبيه تمثيلي ذكر فيه المشبه والمشبه به في صورة بلاغية غاية في الحكمة والدقة والجمال، حيث كان في بلاغة هذا التشبيه ان حذف وجه الشبه إذ لا حاجة لذكره بعد هذا البيان العظيم.

جاء في (فيض القدير) ما مضمونه ان المنافق لا يتعظ بمرضه ولا يتيقظ من غفلته بشغل قلبه بحب الدنيا واستغراقه في شهوته ورسوخه فيما هو عليه من غباوة البهيمة فلا ينجع في إيقاظه سبب الموت ولا يذكر حسرة الموت فلذا شبهه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبعير المرسل بعد القيد في كونه لا يدري فيم قُيّد وفيم أرسل فحقه إذا مرض عقل ان مرضه بسبب ذنوبه فإذا عوفي لم يعد فلما لم ينتبه صار كالبهيمة[2].

ومن معالم القصدية في نظم الرواية قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق المؤمن: "ثم أعفاه الله" وبشأن المنافق: "... إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير..." ولعل وراء ذلك وضاعة شأن المنافق.

---

[1]- سنن الترمذي: الحديث رقم (٣٠٨٩)، ٢/٥٥.

[*]- جاء في (النهاية في غريب الحديث والأثر): (... أعفى المريض بمعنى عوفي .) في ج٣/٢٦٦.

[2]- ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٢/ ٤٨٨-٤٨٩.

وأما في جملة (عقله أهله ثم أرسلوه) التي فصلت عما قبلها فالباحث يحتمل أمرين:

الأمر الأول: ان هذا من فن الفصل الذي استدعاه كمال الاتصال بين جملة عقله وما قبلها على احتمالية ان هذه الجملة هي تبيان لما قبلها ومن ثم فهي جزء منها.

والثاني: هو ان الجملة الخبرية (عقله...) صلة لموصول محذوف والتقدير: كان كالبعير (الذي) عقله أهله...

كذلك فأن النص الشريف تضمن تقابلاً ثنائياً هو قوله عقلوه وأرسلوه ما يجعلنا أمام نص نبوي متماسك الألوان البلاغية ومتزاوج في نسجها.

سادساً: الموقف السلبي تجاه الصلاة

لقد جاء في محكم الذكر الحكيم قوله تعالى: ((ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا))[1]، إذاً فالرياء وضعف الهمة مركوزان في أعماق نفس المنافق لذا فلا نجدهم تجاه عمود الدين إلا في سلبية لا تقل عن بقية سلبياتهم، لذلك تعاضدت السنة الشريفة مع الكتاب العزيز في سلخ قناع المنافق كي يظهر وجهه المشوه الممسوخ، لذلك نجد ما رواه أُبيّ بن كعب حيث قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً الصبح فقال: "أشاهد فلان؟ قالوا: لا، قال: أشاهد فلان؟ قالوا: لا، قال: "ان هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لاتيتموهما ولو حبواً على الركب، ..."[2]، إذ يبدو ان الجملة الخبرية المؤكدة بإن في قوله: "ان هاتين الصلاتين..." أنزلت خالي الذهن منزلة المتردد.

وفي سنن الترمذي ان العلاء بن عبد الرحمن دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر وداره بجنب المسجد، فقال: قوموا فصلوا العصر، قال: فقمنا فصلينا، فلما انصرفنا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تلك صلاة

---

[1]- سورة النساء: الآية: ١٤٢.

[2]- سنن أبي داود: الحديث رقم (٥٥٤)، ج١/ ١٣٤، وفي سنن ابن ماجة: "إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا" الحديث رقم (٧٩٧)/ ج١/ ٢٦١.

المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا"[1]، وأود أن يُقرَأ النص بلاغياً من عدة نقاط:

أولا: البلاغة التي جسدها الفصل بين الجملة الخبرية الاسمية (تلك صلاة المنافق) وبين الجملة الخبرية الفعلية (يجلس يرقب الشمس) ويحتمل أن وراء هذا شبه كمال الاتصال بين الجملتين إذ ربما دار في ذهن المتلقي سؤال تقديره كيف يا رسول الله؟ فأجاب (صلى الله عليه وآله وسلم) عن السؤال من غير أن يُطرح.

ثانياً: الصورة المتجددة والمشبعة بالاستمرار من خلال توظيف الفعلين المضارعين (يجلس) و(يرقب) ما يحيل الذهن إلى ملازمة المنافقين الدائمة لهذه السمة.

ثالثاً: قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :"كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً" إذ نلاحظ المجاز بقوله (قرني الشيطان) حيث استعار (صلى الله عليه وآله وسلم) القرنين للشيطان في تصوير بلاغي بياني عجيب، هذا على نحو الاحتمال، والاحتمال الآخر: ان هذا حقيقة لا مجاز فالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يرى ما لا نرى ويسمع ما لا نسمع.ومن التحليلات البلاغية القديمة للرواية حول قوله صلى الله عليه وآله : "تلك صلاة المنافق" ان في الجملة تصريح بذم تأخير الصلاة بلا عذر، وان قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "بين قرني الشيطان" فيه خلاف بين الشرّاح، فمنهم من رأى ان ذلك حقيقة وظاهر لفظه والمراد انه يحاذيها –أي الشمس– بقرنيه عند غروبها وكذا عند طلوعها؛ لأن الكفار يسجدون لها حينئذ فيقارنها ليكون الساجدون لها في صورة الساجدين له ويخيل لنفسه ولأعوانه إنما يسجدون له، ومنهم من رأى ان هذا المعنى (مجاز) وان المراد بقرنيه علوه وارتفاعه وسلطانه وتسلطه، قال الخطابي: هو تمثيل ومعناه ان تأخيرها بتزيين الشيطان ومدافعته لهم عن تعجيلها كمدافعة ذوات القرون لما تدفعه، ..[2].

---

[1]– سنن الترمذي: الحديث رقم (١٦٠)، ج١/ ١٠٧.

[2]– ينظر هذا المعنى وما قبله في: صحيح مسلم بشرح النووي، ج٥/ ١٢٤.

وفي شرح مسلم للنووي ان قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً"، تصريح بذم من صلى مسرعاً بحيث لا يكمل الخشوع والطمأنينة والاذكار وان معنى النقر سرعة الحركات كنقر الطائر[١]، فالصورة المستوحاة من هذا البيان تحليل الى (استعارة مكنية).

ويرد الحديث في سنن النسائي بالرواية التالية: "تلك صلاة المنافق جلس يرقب صلاة العصر حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله عز وجل فيها إلا قليلاً"[٢]، ففي تفسير الميزان يتناول المصنف قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (قرني الشيطان) بالشكل التالي: "والمراد بكون الشمس بين قرني الشيطان دنوها من أفق الغروب كأنه يجعل النهار والليل قرنين للشيطان ينطح بهما ابن آدم أو يظهر لابن آدم"[٣].

وفي رواية النسائي نرى تنوعاً دلالياً أضفى على البلاغة جمالاً ورونقاً من خلال التنوع في طرح الأفعال (جلس) ثم المضارع (يرقب) ومن ثم فنحن أمام لوحة دلالية متناسبة مع المقام حيث توظف الفعل جلس في تثبيت هذه السمة والفعل يرقب في تحريك الصورة وتجديدها، هذا على نحو الاحتمال.

وفي سنن ابن ماجة رُوي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): "من أدركه الأذان في المسجد، ثم خرج، لم يخرج لحاجة، وهو لا يريد الرجعة، فهو منافق"[٤](*)، فالملاحظ في هذه الصياغة البلاغية العظيمة جمالية التباين الذي أداه الفصل والوصل في النص بالشكل التالي:

حيث فصل (صلى الله عليه وآله وسلم) بين جملة ثم خرج وجملة (لم يخرج لحاجة) إذ يبدو ان الثانية (بيان) متعلقة بالأولى، ثم عمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فن الوصل

---

[١]- ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي،١٢٤/٥.

[٢]- سنن النسائي، ج١/ ٢٥٤.

[٣]- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ايران، (د . ت)، ١٢٢/٥.

[٤]- سنن ابن ماجة: الحديث رقم (٧٣٤)، ج١/ ٢٤٢.

[*]- وفي سنن الترمذي: "من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق" الحديث رقم (٢٤١)، ج١/ ١٥٣.

في قوله "وهو لا يريد الرجعة" وقد اقتضى الحال ذلك، وكأن النص لا يستسيغ فصلين متواليين.

وكذلك نلمس التوكيد من خلال ايراد الضمير المنفصل (هو) في: "وهو لا يريد الرجعة".

سابعاً: الاقتضام في الحساب الالهي

يأبى المولى عز وجل إلا ان يفضح المنافق يوم القيامة، لذا نجد في سنن ابن ماجة رواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "يدني المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه ثم يقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: يا رب أعرف حتى إذا بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ قال: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته، أو كتابه، بيمينه. . . وأما الكافر أو المنافق فينادى على رؤوس الأشهاد. . ."[1]، فهذا الحديث شاهد آخر على تباين واختلاف الصورتين صورة المؤمن وصورة المنافق في نص واحد، إذ نلاحظ فيه التوسع في الكلمات بشأن المؤمن حيث ان أغلب الحديث حول ذلك، بينما نجد الحديث عن المنافق أخذ الاقتضاب والايجاز بحيث انطوى في جنباته كل المعاني التي ممكن أن تصور المنافق يوم القيامة.

فالبلاغة التي أداها النص تضمنت التصدر بـــ(أما) وكأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يلفت الانتباه ويشده إلى سماع جزاء المنافق الذي تباين كل التباين مع اخفاء شخصه وسريرته في الدنيا، فهو ينادى علناً جزاءً لتخفيه وراء الألقاب والمناصب والواجهات في هذه الدنيا الفانية.

ولعل من القصدية والمطابقة اختيار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للحديث عن المنافق اختياره الفعل المبني للمجهول (ينادى).

---

[1]- سنن ابن ماجة: الحديث رقم (١٨٣)، ج١/ ٦٥.

إذا ما قارنا محاسبة المؤمن بمحاسبة المنافق فيلاحظ المجاز في قوله "على رؤوس الأشهاد" حيث ذكر البعض (رؤوس) والمراد الكل إلا ان البلاغة لا يؤديها تعبير (أمام الناس أو الملأ).

ثامناً: الشك في العقائد الاسلامية

هنالك من الروايات النبوية الشريفة ما صورت موقف أهل النفاق من أصول الدين في القبر والآخرة بما يدل على ريائهم وانصياعهم قسراً وجبناً للتصديق بهذه العقائد وليس عن رضا نفس أو اطمئنان، من مثل الرواية التي جاء فيها: "... ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً أو مثل فتنة المسيح الدجال فيؤتى أحدكم فيقال ما علمك بهذا الرجل (أي محمد صلى الله عليه وسلم) فأما المؤمن أو الموقن (لا أدري أي ذلك قالت أسماء) فيقول: هو محمد هو رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ... ، فيقال له: نم قد كنا نعلم إنك لتؤمن به فنم صالحاً، وأما المنافق أو المرتاب (لا أدري أي ذلك قالت أسماء) فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت"[1]، والتحليل يريد هنا أن يتوسع في صورة المنافق على فرض ذكره في الحديث الشريف إذ نلاحظ الإجابة الفارغة من كل محتوى إيماني بنبوة الخاتم الأقدس الأنور (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا ما قارناها بإجابة المؤمن المشبعة بالتوكيد والإطناب، بما يدل على عدم مسؤولية المنافق تجاه الدين الحنيف وعقائده الشريفة الجليلة.

وفي صحيح البخاري: "... وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين"[2].

---

[1]- صحيح مسلم: ج٣/٣٢، وقد ورد النص بزيادة من الراوي أي عبارة: (لا أدري أي ذلك قالت أسماء)، والخبر نفسه في صحيح البخاري، ج١/ ٢٢١و ج٢/ ٢٨.

[2]- صحيح البخاري: ج٢/ ٩٢، والخبر نفسه بتغيير لفظي قليل في صحيح البخاري: ج٢/ ١٠٢.

ويبدو ان قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "ولا تليت" مما عُدَّ من غريب الحديث فقد جاء في مصنف (الفايق في غريب الحديث): "أي: ولا اتبعت الناس بأن تقول شيئاً يقولونه، ويجوز أن يكون من قولهم: تلا فلان تلو غير عاقل، إذا عمل عمل الجهال، أي لا علمت ولا جهلت يعني هلكت فخرجت من القبيلين"[1].

وكذلك فقد تضمن النص فن الأزدواج الكلمي في ضم تليت إلى جانب دريت.

[1]- الفايق في غريب الحديث: ج١، ص١٣٦.

المبحث الثاني

المنافقون في سماتهم غير الصريحة (الضمنية أو السياقية)

أولاً: دخولهم في معنى الخَبَث

روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): "المدينة كالكير، تنفي خبثها وينصع طيبها"[1]، وقبل تحليل النص نجد ارتباط هذا المعنى بمعنى النفاق خلال حديث نبوي عن الأعور الدجال، حيث جاء فيه: "... فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفاتٍ، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي (الخبث) منها كما ينفى الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص"[2]، إذ نلاحظ شدة ارتباط معنى الخبث بالنفاق وأهله فقد ورد تحليل هذا المعنى في بحث جامعي قسّم أركان التشبيه في النص على ان المدينة المنورة هي المشبه وهي تخرج وتنفي شرارها وان المشبه به هو الكير وهو الموضع الذي يوقد عليه الحدّاد ليصهر فيه المعادن في كونه يخرج خبث الحديد والفضة وأما وجه الشبه فهو التنقية الدقيقة، وإخراج فاسد من صالح فيبقى الصالح نقياً من الشوائب[3].

فالتشبيه مُرسل لأن الأداة مذكورة والطرفين حسيان، بقاء الصالحين بالمدينة المنورة وإخراج الفاسدين المفسدين و المنافقين[4]، فهذا التشبيه النبوي العظيم يقرن بين خبث المعادن الذي يعمل الكير على إزالته وبين المصائب والمحن الإرجافات التي هي من صنيع الدجال الأعور والفاسد الأكبر حيث يكون رد هذا الفعل خلوص المدينة المنورة من المنافقين والفاسدين[4].

وأما في (المجازات النبوية) فقد جاء حول هذا المعنى:(...أن أهلها يتمحصون فينتفي عنها الأشرار، ويبقى فيها الأخيار، ويفارقها الأخلاط والأوشاب، ولا يصبر عليها إلا الصميم

---

[1]- صحيح البخاري: ج٢/ ٢٢٣، وفي ج٨/ ١٢٤ من صحيح البخاري بتغيير لفظي.

[2]- سنن ابن ماجة: حديث رقم (٤٠٧٧)، ج٢/ ١٣٥٩- ١٣٦٠- ١٣٦١.

[3]- ينظر: التشبيه في صحيح مسلم: أحمد بن عيضة الثقفي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، السعودية، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م، ص٤٧.

[4]- ويرد الخبر في صحيح البخاري، ج٢/ ٢٢٤: "إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد".

واللباب، فتكون بمنزلة الكير الذي ينفي الأخباث والأدران، ويخلص المُصَاص والنّضار، ..."[1].

ويلاحظ الباحث تزاوج الفنون البلاغية في النص على قلة كلماته من خلال تعاضد هذا التشبيه بفن الفصل والوصل، حيث فصل (صلى الله عليه وآله وسلم) جملة (تنفي خبثها) عن (المدينة كالكير)؛ لأن الثانية جملة خبرية هي جواب عن سؤال في ذهن السامع فكان بين الجملتين (شبه كمال الاتصال)، ثم يأتي الوصل مراعاة للمقام والفصاحة حيث وقع الوصل بين الجملة الثانية والأخيرة لتناسبهما تماماً إذ كل منهما جملتان خبريتان تصدرتا بفعل مضارع.

وفي صحيح مسلم: "يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا تخرج منهم أحدٌ رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ألا ان المدينة كالكير تخرج الخبيث "[2] ، فالحديث هنا تأكد بأداة التنبيه (ألا) ثم تأكد بـــ(إن) في قوله: "إن المدينة كالكير".

وفي تحفة الأحوذي: "تنفي خبثها" بفتح المعجمة والموحدة: هو ما تلقيه من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبا، والمعنى تطرد المدينة من لا خير فيه وتخرجه، (وتنصع) من باب التفعيل والأفعال أي: تخلص (طيبها) بالنصب على المفعولية وهو بفتح الطاء وتشديد التحتية، جعل مثل المدينة وما يصيب ساكنيها من الجهد والبلاء كمثل الكير وما يوقد عليه في النار فيميز به الخبيث من الطيب فيذهب الخبيث ويبقى الطيب فيه أذكى ما كان وأخلص"[2].

ويتكشف التوكيد في رواية: "إنها طيبة... وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة"[3].

---

[1]– المجازات النبوية: ص٣٠٢.

[2]– تحفة الأحوذي: في شرح سنن الترمذي ج١٠/ ٢٨٩، ويقصد بالمعجمة في بداية كلامة اي الباء المعجمة .

[3]– صحيح مسلم: ج٤/ ١٢١.

ثانياً: الاحتيال والمكر

من المعلوم ان سمة النفاق تنطوي على معانٍ أخرى كالاحتيال والتزييف والمكر، وفي المدينة المنورة عمل المنافقون بلا شك على التمزيق والتفريق والإرجافات في صف المسلمين والتشكيك في شخص وقيادة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذا نجد رواية: "لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلا أنماع كما ينماع الملح في الماء"[1]، إذ نلاحظ بلاغة النص كيف وظفت أسلوب الاستثناء بالنفي وإلا لإيصال المعنى، ثم يعاضد ذلك التشبيه التمثيلي في النص، حيث شبه (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل الحيل والمكر بالملح الذائب في الماء بهذه الصورة العظيمة البلاغة، فالمدينة المشرفة المنورة لها من المكانة والقداسة ما يعجز اللسان والقلم في أدائه لذا خصها الله جل وعلا بشرف السلامة من الدجال وأتباعه من المنافقين وغيرهم.

ثالثاً: تفضيل المصلحة الشخصية على أي أمر

فقد وري عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: "ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم...، (إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم) ورجلٌ بايع إماماً لدنيا فإن أعطاه ما يريد وفى له وإن لم يعطه لم يف به..."[2]، والباحث يحتمل المجاز في قوله: "ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل..." وذلك لأنه ما من أحد يُترك بلا محاسبة فلا يفضي لا إلى ثواب ولا إلى عقاب، والمجاز في الجملة الخبرية بمعنى أنهم لا يحاسبون حساب الأخيار، ثم يتعاضد مع هذا التوكيد في قوله: "ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم" إذ تطلب الحال تركيز المعنى وتقويته من خلال تنوع الجمل الخبرية في هذا الخصوص.

---

[1]- صحيح البخاري: ج٢/ ٢٢٢.

[2]- سنن النسائي: ج٧/ ٢٤٧.

وفي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "... ورجل بايع إماماً لدنيا..." تضمّنٌ للنفاق لأن هذا الفعل من سمات المنافقين إذ ان المنافق يقول ما لا يفعل أو يُظهر بخلاف ما يضمر في قلبه.

وفي سنن ابن ماجة: "ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، . . . ورجل بايع إماماً، لا يبايعه إلا لدنيا . فإن أعطاه منها وفى له، وإن لم يعطه منها لم يفِ له"[1]، ففي النص السابق "ورجل بايع إماماً لدنيا"، بينما نجد في النص الأخير "ورجل بايع إماما، (لا يبايعه) إلا لدنيا. فإن أعطاه منها وفى له، وإن لم يعطه منها لم يفِ له" حيث لاحظ الباحث ان الألفاظ في رواية ابن ماجة أكثر من رواية النسائي.

وأما في رواية صحيح مسلم: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، . . . ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفى له وإن لم يعطه منها لم يفِ"[2]، حيث نلاحظ هذه المرة كيف اكتفى النص بعدم ذكر شبه الجملة من الجار والمجرور أي: له، مرتان، في قوله: "فإن أعطاه منها وفى" وقوله: "وإن لم يعطه منها لم يفِ" ولربما كان ذلك بسبب تكرار الخبر أكثر من مرة ما جعل النص يحتاج الاكتفاء.

وترد كلمة (دنيا) في النصوص الثلاثة منكرة بينما في نص البخاري جاءت معرفة بالإضافة في رواية: "... ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنياه إن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يفِ له..."[3]، فقد أضيفت دنيا إلى الضمير العائد على المنافق، بينما نجد تعريف الدنيا أخذ شكلاً آخر في رواية: "... ورجل بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يفِ له..."[4]، إذ تعرفت بأل ولا شك ان كل هذه التغيرات تبعاً لتطلب المقام.

---

(1)- سنن ابن ماجة: الحديث رقم (٢٢٠٧)، ج٢/ ٧٤٤.

(2)- صحيح مسلم: ج١/ ٧٢.

(3)- صحيح البخاري: ج٨/ ١٢٤.

(4)- صحيح البخاري: ج٣/ ١٦٠.

وأما في رواية: "... ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط..."[1]، فنلاحظ كيف ترصع النص بفن التقابل الثنائي في قوله (رضي) و(سخط) .

رابعاً: الخيانة والغدر

لقد روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ماجسّد مدى إفتضاح أهل الغدر يوم القيامة والتي يشعر الباحث أن لها صلة بالنفاق.

فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواءٌ فقيل هذه غدرة فلان بن فلان"[2]، ففي اختياره (2) لعبارة إذا جمع الله الأولين والآخرين من البلاغة ما تناسب مع افتضاح أهل الغدر حيث لاحظ الباحث فيها هولاً وعظمة وهي أكبر وأعظم تأثيراً من (إذا جمع الله الناس).

ومن البلاغة النبوية العظيمة في الحديث اختياره (صلى الله عليه وآله وسلم) للفعل الماضي المبني للمجهول (فقيل) للإخبار عن المستقبل وكأن في ذلك إشارة لقرب وقوع هذا المشهد المخزي يوم القيامة بحيث أنه صائر لا محالة.

وفي سنن الترمذي: "ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة"[3]، إذ نلاحظ كيف اقتضى الحال التوكيد بالحرف (إن) ولعل ما دعى لذلك هو تردد السامع في قبول الخبر.

ثم نجد التوكيد وقد اتخذ مستوى أقوى من هذه الرواية حيث ورد في سنن ابن ماجة "ألا انه ينصب لكل غادر لواءٌ يوم القيامة، بقدر غدرته"[4]، إذ نجد أداة التنبيه مؤازرة للحرف إن فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يركز ويرسخ مدى خطورة ذلك في الاذهان.

وفي رواية أخرى: "لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدراً

---

[1]- صحيح البخاري: ج٣/ ٧٦.

[2]- صحيح مسلم: ج٥/ ١٤١.

[3]- سنن الترمذي: الحديث رقم (١٦٣٠)، ج٣/ ٧١.

[4]- سنن ابن ماجة: الحديث رقم (٢٨٧٣)، ج٢/٩٥٩ ورواية أخرى في الصفحة نفسها: "... فيقال هذه غدرة فلان".

من أمير عامة"[1]، حيث نجد فن الأطناب وقد دخل في هذا الخبر في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة" مشكلاً من التوكيد بـــ(ألا) واسلوب النفي بـــ(لا) النافية للجنس.

وحول ذلك جاء في شرح مسلم للنووي: "قال أهل اللغة: اللواء: الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب أو صاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعاً له، قالوا: فمعنى لكل غادر لواء: أي علامة يشهر بها في الناس لأن موضوع اللواء الشهرة... وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر لتشهيره بذلك... وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر..."[2].

وقد لاحظ الباحث في تعدد الأخبار هذه تنوعاً بلاغياً يضاف إلى ما تقدم ذكره من خلال الروايتين الآتيتين: "لكل غادر لواء ينصب لغدرته"[3]، وكذلك: "ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة"[4]، حيث نجد الفعل المضارع (ينصب) وقد تصدر الجملة في الحديث الثاني بشكل يوحي للمتلقي ان هذه الجملة الخبرية جاءت ابتدائية كاحتمال، بينما نجد اسلوب التقديم والتأخير في الحديث الأول من خلال تأخير الفعل (ينصب) وتقديم شبه الجملة (لكل).

---

[1]- صحيح مسلم: ج٥/ ١٤٣.

[2]- صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢/ ٤٣ - ٤٤.

[3]- صحيح البخاري: ج٤/ ٧٢.

[4]- م. ن: ج٨/ ٩٩.

خامساً: الرياء

الرياء من الأمراض التي ضربت عروقها الخبيثة –للأسف الشديد– في جسد الأمة الإسلامية منذ بداية نشوئها ما نال المنافقين من هذا الجانب حض وافر، وقد صرح القرآن الكريم بذكره في قوله جل وعلا: "يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا"[1]، كذلك روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "... ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له: فيماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله له كذبت، وتقول الملائكة له كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء، فقد قيل ذلك"[2]، ويبدو للباحث ان ارتباط هذا النص بمعنى النفاق يتوثق من خلال الرواية الآتيه:"... ورجل منافق جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق"[3]، إذاً فالمنافق يلقي بنفسه في الموت أحياناً ولكن بدافع الرياء، وأما تحليل الحديث الأول بلاغياً فيراه الباحث بالشكل الآتي:

أولاً: من اللافت للنظر قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله..." في نصٍ تكثف فيه معنى الرياء ولعل اختياره (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا من باب الذم بما يشبه المدح مراعاة للمقام.

ثانياً: تضمن النص لبلاغة أداها الاستفهام الذي خرج لغرض مجازي وليس المراد منه قطعاً طلب الإيضاح وحاشا لله تعالى في قوله: فيقول الله له فيماذا قتلت؟ وكأن المولى عز وجل يريد بهذا الأسلوب كشف أمر هذا المنافق للملائكة وأهل المحشر.

ثالثاً: وقد تضمن النص بلاغة التقديم والتأخير في قوله: "فيقول الله (له) كذبت" وكذلك "وتقول الملائكة (له) كذبت" حيث تطلب المقام توكيد الصورة وترسيخها من خلال

---

[1]– سورة النساء: من الآية: ١٤٢.

[2]– سنن الترمذي: الحديث رقم (٢٤٨٩)، ج٤/ ٢٠.

[3]– الجهاد: عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ)، تحقيق: د. نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة(د. ت)، الحديث رقم (٧)، ص٦٢-٦٣.

التقديم والتأخير مرتين ومن ثم احتياج النص للاكتفاء بعدم ذكر (له) في قوله: "ويقول الله: بل أردت أن يقال ..." وكأن البلاغة لا تحتاج أكثر من هذا التوكيد.

ومن الصور البلاغية العظيمة التي أداها الحديث النبوي الشريف بكل جدارة، رواية: "يُجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله"[1]، ففي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "يجاء برجل" تناسب عظيم مع المقام حيث يجعل هذا التركيب الذهم يتصور مدى إرغام هذا المنافق وإجباره وليس لهذا المعنى أن يؤديه الفعل يأتي على سبيل المثال، ونلاحظ اضطراد الأفعال المضارعة المقترنة بالفاء بشكل للافت للانتباه كقوله: (فيطرح) و(فيطيف به) و(فيقول) و(فيقولون) وكأن تأثير هذا على الصورة هو الحركية السريعة والمستمرة في عقاب هذا المنافق لأن الأحداث في هذا النص آخذة بالسرعة والاستمرار.

وفي الحديث تشبيه تمثيلي حيث شبهه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحمار تحقيراً له إذ في هذا التشبيه مناسبة تامة لصورة هذا المنافق.

وقد لاحظ الباحث التوكيد في النص من خلال التقديم والتأخير في قوله: "فيطيف (به) أهل النار" حيث ان الاهتمام في عرض ما سيجري على هذا الدجال المنافق تطلب تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور على الفاعل (أهل النار).

وفي جملة (إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله...) نلاحظ توكيد الجملة الخبرية بالحرف (إن) ولعل البلاغة في هذا ترسيخ وتأكيد ما يدور في أذهان أهل النار من دهشة وهول ما يشاهدون.

كذلك وقد تضمن هذا النص تزاوجاً بديعياً أداه فن التقابل الرباعي في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله" حيث نجد

---

[1]- صحيح البخاري: ج٨/ ٩٧.

كيف تشبعت هذه المساحة الصغيرة من النص بكثافة بلاغية بديعية في (آمر) و(أنهى) و(المعروف) و(المنكر) و(لا أفعله) و(أفعله).

وفي رواية اخرى: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: وبلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه"[1]، هنا نلاحظ منظراً ومشهداً بشعاً لرجل كان في الحياة الدنيا يأمر بالمعروف ولكنه لم يكن من أهله وكان ينهى عن المنكر وهو من أهله فيؤتى به يوم القيامة فيلقى في جهنم وكأنه قطعة من حطب فتندلق أمعاؤه فيدور في النار بهذا الشكل والتصوير المقزز المنفّر وليس هناك صورة من الفضاعة وإثارة التقزز من صورة من خرجت أمعاؤه من بطنه وهو يدور في النار بهذا الشكل في منظر مألوف جداً لدى المتلقي الأول أعني منظر الحمار والرحى في حلقة مقفلة!![2].

سادساً: ازدواجية الرأي والموقف

ومن الأحاديث النبوية التي تجسد فيها مفهوم النفاق ضمنياً بغاية البلاغة والأدب، أحاديث صاحب الوجهين واللسانين، حيث روي عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: "إن شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"[3]، فالخبر هنا جاء متصدراً بأداة التوكيد إن ولعل وراء ذلك انزال خالي الذهن منزلة المتردد الشاك.

ونلاحظ في هذا النص صورة مجازية تمت في غاية الحسن والبلاغة حيث جعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا المنافق وجهين كناية عن عمله بالنفاق وعدم ثبوته في خط معين وهذا يذكر بحديث الشاة العائرة المترددة بين الغنمين، فما أروع أن استبعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الحديث كلمة المنافق فكنى عنها بذي الوجهين،

---

[1]- صحيح مسلم: ج٨/ ٢٢٤.

[2]- ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف: ص١٨٧.

[3]- صحيح البخاري: ج٨/ ١١٥.

لبيان حقيقته وتنفير الناس منه ومن عمله، وقد جسد ذلك تصويراً فنياً بليغاً من خلاله أراد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يربي المسلمين بزجرهم غير المباشر عن هذا الفعل القبيح[١].

كما ويلمس الباحث فن الإطناب في هذا الحديث الشريف من خلال قوله: "الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه" وربما كان وراء هذا الإطناب ترسيخ هذه الصورة وتوكيدها.

وفي رواية أخرى: "ان من شر الناس ذا الوجهين..."[٢]، حيث زاد هذا الحديث عن الأول بـــ(من) وفي رواية أخرى: "تجدون من شر الناس ذا الوجهين..."[٣]، حيث تغير تصدّر الحديث هنا من التوكيد بالحرف إلى الفعل المضارع (تجدون).

ونجده في خبر آخر: "من شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"[٤]، حيث أعطى هذا التغير لوناً بلاغياً للمعنى نفسة وذلك من خلال أسلوب التقديم والتأخير في قوله: "من شر الناس ذو الوجهين" حيث تطلب المقام توكيد هذا المعنى بالتقديم والتأخير بدلاً من التوكيد بالحرف المشبه بالفعل.

وفي رواية من صحيح مسلم نجد هذا المعنى من خلال وصله بما قبله في: "... وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي...."[٥]، مع ان اللافت للانتباه في كل هذه النصوص تغير البدايات فيها وثبوت جملة "الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه" التي جسدت الإطناب كما تقدم ذكره حيث ان هذه الجملة بقيت لم تتغير ولعل وراء ذلك احتياج المقام في كل مرة إلى تثبيت الزيادة التوكيدية في النص كما هي.

وجاء في تحفة الأحوذي: "قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق إذ هو متملق بالباطل وبالكذب مدخل للفساد بين الناس"[٦]، ثم نجد هذا المعنى وقد تجسد في حديث آخر اختلف بصورة ملحوظة عما تقدم من الأحاديث ألا وهو قوله

---

[١]– ينظر: الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف: ص٤٠٧.

[٢]– صحيح مسلم: ج٨/ ٢٧.

[٣]– م. ن، ج٨/ ٢٨.

[٤]– سنن ابي داود: الحديث رقم (٤٨٧٢)، ج٢/ ٤٥٠.

[٥]– صحيح مسلم: ج٧/ ١٨١، وفي رواية في صحيح البخاري: "تجد من شر الناس..."، ج٧/ ٨٧.

[٦]– تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي: ج٦/ ١٤٤.

(صلى الله عليه وآله وسلم): "من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار"[1] حيث نجد هنا روعة بلاغية حيث توازنت الصورة المجازية في الدنيا بصورة حقيقية بشعة كل البشاعة في الآخرة، هي تجسد هذا العمل بلسانين من نار لهذا المنافق، وكأن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يُنفِّر ويُخوِّف أهل النفاق هنا من خلال إبدال الإطناب الذي تكرر كل مرة كما سبق بجملة كان له لسانان من نار والتي تأكدت هي الأخرى بتقدم الخبر من الجار والمجرور (له) على المبتدأ.

هذا هو البيان الذي أحاط بكل المعاني العظيمة التي يحار ويعجز في استقصائها اللسان والقلم..

هذه هي الفصاحة التي أبت إلا أن تُغلق أمام الناقدين الأبواب والمنافذ...

هذا هو الإعجاز الذي راح شذا عطره يردد في آفاق الملك والملكوت: سحقاً وبعداً وتعساً لمن عاداك وأهل بيتك الطيبين الطاهرين يا سيد العالمين يا رسول الله.

---

[1]– سنن ابي داود: الحديث رقم (٤٨٧٣)، ج٢/ ٤٥٠.

الخاتمـــــــــــة

الخاتمـــــــة

بعد كل ما تقدم من تحليلات بلاغية للنصوص النبوية الشريفة التي خصت النفاق والمنافقين، يجدر بي تدوين أهم النتائج التي توصل اليها البحث والتي تمثلت بالنقاط الآتية:

- ❖ لاحظت الدراسة غزارة المادة البلاغية في الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولها البحث، فقد جسدت النصوص شاهداً على ايتاء رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) جوامع الكلم من لدن المولى عز وجل، ذلك ان طابع الحديث النبوي الشريف انماز بالاختصار اللفظي والكثافة المعنوية والفنية.
- ❖ سجلت الشواهد الشريفة قطعة فنية غاية في الفصاحة التي هي إحدى ركني فن البلاغة.
- ❖ كان من اللافت لانتباه الباحث في دراسته وتأمله للنصوص الشريفة كثرة وتركّز فن التوكيد وتنوع فنونه وأساليبه مع ان هذه الكثرة والغزارة لم تنزل من مقام ورفعة النص النبوي الشريف ذلك ان شدة اهتمام النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الإخبار والكشف والتفصيل عن آفة النفاق وخطورة المنافقين استدعت ذلك التركيز والاعتماد على التوكيد الذي تنوع بحسب مقتضى الحال.
- ❖ أوضحت الشواهد الشريفة دور المطابقة للمقام كأحد ركني فن البلاغة في توظيف الفنون البلاغية المتنوعة وكان لهذا الجانب مساحة واسعة شكلت معادلاً وموازناً للركن الآخر من هذا الفن أي فن الفصاحة ضمن دائرة الحديث عن موضوع المنافقين.
- ❖ كما وقد لاحظت الدراسة قلة الاعتماد على فن السجع والجناس في الشواهد النبوية التي خصها البحث بالدراسة بما لم يحط من شأن فصاحة وبلاغة الحديث النبوي الشريف.

- ❖ لاحظ الباحث عدم التصريح من قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسماء المنافقين فيما يخص النفاق الأكبر الذي تلازم لبداية الدعوة الاسلامية بل كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يلمّح أو يشير لذلك وقد اقتضت المصلحة هذا الفعل.
- ❖ لم يترك البيان النبوي الشريف جانباً من جوانب هذا الموضوع إلا وسلط عليه ضوءه الساطع وكشف عن زواياه وخباياه بأرقى فن بلاغي.
- ❖ كشفت بعض الأحاديث الشريفة عن بغض المنافقين وعدائهم لشخص أمير المؤمنين علي وأهل البيت(عليهم السلام) وللأنصار الأخيار في المدينة المنورة.
- ❖ كشفت جملة من الأحاديث الشريفة عن لثام النفاق بتحديده وتمييزه من خلال التعامل المنحرف للمنافقين والمتمثل بالكذب في الحديث والخيانة للأمانة والاخلاف للوعد والغدر عند المعاهدة والفجور عند المخاصمة وقد تواترت الأحاديث من حيث الاتفاق المعنوي والاختلاف اللفظي ضمن هذا الصدد.
- ❖ أوضح الحديث الشريف مدى تلازم واقتراب المنافقين في كل عصر للخط المصلح المتمثل بأنبياء الله تعالى وخلفائه في الأرض وذلك بالتعبير عنهم بالبطانة ضمن حديث بطانة الخير والشر.
- ❖ سلط الحديث النبوي الشريف الضوء على التعامل السلبي للمنافقين مع الصلاة التي هي علامة المسلم وعمود الدين وذلك من خلال الإخبار عن تقاعسهم وتكاسلهم في أدائها وبالخصوص صلاتي العشاء والصبح.
- ❖ صوّر الحديث الشريف مدى ترابط وتلازم المنافقين للأعور الدجال الذي توسعت واستفاضت الروايات الشريفة في ذكره ووصفه والذي لم يسلم شبر من الأرض من وطأته الفاسدة المفسدة وبيّن الحديث النبوي الشريف كيفية التحاقهم به فيما يخص أحاديث الفتن التي عصفت بالمدينة المنورة والإرجافات التي سيتعرض اليها أهلها.

- ❖ كشفت الأحاديث النبوية الشريفة عن أخطر صنفٍ وضرب من النفاق ستعصف ريحه الخبيثة في الساحة الاسلامية ألا وهو التصدي والتصدر للحكم من قبل الأئمة المضلين والذين هم أكثر من أخاف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأمة وقد تركز هذا المعنى في عدد من الروايات النبوية الشريفة ضمن الفصل الثاني من البحث.
- ❖ اضطردت وتواترت الأحاديث النبوية الشريفة في الكشف عن خطورة ظاهرة الفرقة المارقة من الاسلام الذين شبه (صلى الله عليه وآله وسلم) مروقهم من الدين بمروق السهم من الرمية وقد توسع البيان النبوي الشريف في وصفهم بتلاوة الكتاب المجيد رياءً وسمعةً وكذلك الاخبار عن تركيزهم القشري الريائي في أداء الصلاة والصيام بالشكل الذي يحتقر المسلم صلاته وصيامه مقارنة به، وقد بيّن (صلى الله عليه وآله وسلم) شدة خطورتهم على المجتمع الاسلامي. وقد أوضح الباحث مدى علاقة هذا الموضوع بالنفاق الضمني أو السياقي في الفصل الثاني.
- ❖ أوضحت بعض الأحاديث النبوية الشريفة مدى تمسك أهل النفاق بجانب الشك أو التشكيك بالعقائد الاسلامية وذلك في روايات بينت ما حيك في صدورهم في الحياة الدنيا كاضطرارهم اللفظي للقول برسالة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وانهم سمعوا الناس يقولون شيئاً فقالوه.
- ❖ تنوعت التشبيهات النبوية للمنافقين بالشكل الذي تطلبه المقام من خلال جملة متنوعة من الأحاديث الشريفة، فقد صُوّروا بالشاة العائرة بين الغنمين من حيث تذبذبهم وحيرتهم واضطرابهم بين معسكري الحق والباطل، وفي مرة أخرى شُبِّه المنافق في مرضه بالبعير الذي عَقَلَه أهله ثم أرسلوه وهو لا يدري لم عقلوه ولم أرسلوه، وفي جانب آخر شبه المنافق بالحمار الذي يطحن في رحاه في دورانه وسحقه في نار جهنم، ومرة أخرى يشبهه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحنضلة التي لا ريح لها ومر طعمها، وقد جسدت كل تلك التشبيهات حذاقة

ودراية نبوية شريفة لما يتطلبه المقام ويقتضيه الحال وكانت كل الشبيهات مستوحاة ومستمدة من صميم واقع الحياة العربية، ما يجعل المتلقي في انشداد كبير لهذا البيان العظيم.

المصـــــــــادر

المصادر والمراجع

مصدر البلاغة الأول: القرآن الكريم

١- احكام القرأن: ابو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص (ت٣٧٠هـ)، ط ١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٥هـ.

٢- الأدب النبوي: محمد عبد العزيز الخولي، دار الفكر، (د. ت).

٣- أسباب نزول الآيات: ابو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ .

٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٥- ألأمالي: الشيخ المفيد (قدس سره)(ت ٤١٣هـ) تحقيق: الحسين استاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، نشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ،(د . ت).

٦- بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، ط ٢ المصححة، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣، هـ/١٩٨٣م.

٧- البداية والنهاية: ابو الفداء اسماعيل بن كثير(ت ٧٧٤هـ)، تح : علي شيري ، ط ١،دار احياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٨- البلاغة العربية، المعاني والبيان والبديع: د. أحمد مطلوب، ط ١، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٩- البلاغة النبوية: د. محمد رجب البيومي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨.

١٠- تاريخ اليعقوبي: احمد بن يعقوب بن جعفر(ت ٢٨٤ هـ)، مؤسسة ونشر: فرهنك اهل البيت عليهم السلام ، قم ، (د . ت)

١١- تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي: المبار كفوري (ت ١٣٥٣ هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ.

١٢- التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف: محمد بن لطفي الصـــباغ، ط ١، المكتـــب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٨م.

١٣- تفسير القرآن العظيم: ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـــ) دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٢ هـــ

١٤- تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـــ)، تح: مصـــطفى مســـلم محمد ، ط ١، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٠ هـــ

١٥- تفسير الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٣٨ هـــ) ، ضبط وتوثيق: ابي عبدالله الداني، دار الكتاب العربي ، بيروت ،١٤٢٩هـــ /٢٠٠٨م .

١٦- تفسير مجاهد: ابن المصباح مجاهد بن جابر المخزومي (ت ١٠٤ هـــ) ، تـــح: عبـــد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، مجمع البحوث الاسلامية اسلام اباد ، (د . ت)

١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـــــ) ، ضـــبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـــ

١٨- الجهاد: عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـــ)، تحقيق: د. نزيـــه حمـــاد، دار المطبوعـــات الحديثة، جدة، السعودية، (د. ت).

١٩- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، ط ١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ايران، ١٣٧٩.

٢٠- الدجال، بحث عقائدي: سماحة آية الله العظمى السيد الحسني الصرخي (دام ظله)، ط ٣، العراق، ١٤٢٦هـــ/ ٢٠٠٥.

٢١- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط ٥، مكتبـــة الخانجي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.

٢٢- دلالة الاكتفاء في الجمل القرانية: د. علي عبد الفتاح محي ، ط ١ ، ديوان الوقف الشيعي ، المركز الوطني لعلوم القران ، بغداد ، ١٤٣١ هـــ .

٢٣- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـــ)، تحقيق أبو اسحاق الحويني الأثري، ط ١، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٦هـــ.

٢٤- سبل السلام: محمد بن اسماعيل الكحلاني (ت ١١٨٢ هـــ) ط ٤ ، شـركة مكتبـة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٧٩ هـ .

٢٥- سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

٢٦- سنن ابي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: سـعيد محمـد اللحام، ط ١، دار الفكر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٧- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: عبد الـرحمن محمـد عثمان، ط ٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

٢٨- سنن النسائي: أحمد بن شعيب، (ت ٣٠٣ هـــ)، ط ١، دار الفكـر، بيـروت، لبنـان، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

٢٩- سيرة النبي: محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، ١٣٨٣ هـ .

٣٠- صحيح البخاري بشرح الكرماني: شمس الدين الكرماني، خرّج أحاديثه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣١- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، طبعت الاوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د. ت).

٣٢- صحيح مسلم بشرح النووي: النووي (ت ٦٧٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلميـة، بيـروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

٣٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنـان، (د. ت).

٣٤- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف: د: فالح حمـد احمـد الحمـداني ، ط ١ ، مؤسسة الوراق ، عمان ، الاردن ، ٢٠٠١م .

٣٥- علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: بسيوني عبد الفتـاح فيـود، جامعـة الأزهر، كلية اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة (د. ت).

٣٦- علم المعاني: د. قصي سالم علوان، ط ٣، مطبعة جامعة البصرة،البصرة، ١٩٨٥.

٣٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم أبادي (ت ١٣٢٩هـــ)، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ

٣٨- الفايق في غريب الحديث: جار الله محمود بن عمر الزمخشـــري (ت ٥٣٨)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.

٣٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبن حجـــر العســـقلاني (ت ٨٥٢ هـــ)، ط ٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ت).

٤٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبد الـــرؤوف المنـــاوي، (ت ١٣٣١ هـــ)، تحقيق: أحمد عبد السلام، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

٤١- كتاب العين: ابو عبدالرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـــ) تـــح: د.مهـــدي المخزومي – براهيم السامرائي ، ط ٢، مؤسسة دار الهجرة، ايران ، ١٤٠٩هـ.

٤٢- لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١ هـــ)، ط ١، دار احياء التراث العربـــي، نشـــر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

٤٣- المجازات النبوية: محمد بن الحسين الشريف الرضي، تصحيح: مهدي هوشـــمند، ط ١، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ايران، ١٤٢٢ق/ ١٣٨٠ش.

٤٤- مَجْمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـــ)، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٥- مجمل اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هت)، راجع ودقق أصوله: محمد طعمـــة، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٦- معاني القرآن: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـــ) تح: محمد علي الصابوني، ط ١، جامعة ام القرى ، السعودية،١٤٠٩هـ.

٤٧- منتهى المطلب (ط. ق): العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـــ)، مقابلة: حسن بيشـــنماز، الناشـــر حاج أحمد، تبريز- ايران، (١٣٣٣).

٤٨- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢ هـــ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ايران، (د. ت).

٤٩- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبن الأثير، (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط ٤، مؤسسة اسماعيليان، قم – ايران، ١٣٦٤ ش.

٥٠- وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي، ط ٧، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، (د. ت).

الرسائل والاطاريح الجامعية

١. الأشكال البديعية في خطاب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في كتاب (الأصول من الكافي) للكليني: حيدر برزان سكران، اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠١١م.

٢. الاعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول: الدكتور محمد السيد موسى، بحث جامعي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، د. ت.

٣. التشبيه في صحيح مسلم، دراسة تحليلية: أحمد بن عيضة الثقفي، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤. التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب: زينة عبد الحسين الخفاجي، اطروحة دكتوراه، جامعة بابل، كلية التربية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥. الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للامام علي بن أبي طالب (عليه السلام): هادي شندوخ حميد، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

الدوريات

❖ المحسنات البديعية (محاولة لدراسة بعضها بين الصبغ والوظيفة): د. قصي سالم علوان، مجلة عالم الفكر العربي، بيروت،العدد ٤٦،١٩٨٧م.

Abstract

The present study tackles some of the prophet's Hadiths related to the hypocrites (Munafiqeen). It is concerned with these hadiths in terms artistic and rhetoric aspects. It dose not focus of the history aspect. It dose so by tracing the pieces of evidence in some source of hadith.

The study falls in three chapters, an introduction and a conclusion. The introduction is divided into three sections. The first is about the concept of image. The second is a historical overview of hypocracy and its role in Islamic history. The third is concerned with the linguistic and idiomatic meaning of hypocracy.

Chapter One deals with the hadiths in which the words 'hypocracy' or 'hypocrites' was explicitly (not implied). This chapter falls into three section. The first deals with the depicting of hypocracy in its early emergence. The second deals with its morals and ethics. The third tackles the relationship of hypocracy with untruthfulness.

Chapter Two deals with the hadiths which refer to the meaning of hypocracy contextually (not explicitly) it also falls into three sections: hypocrite and reformers, the image of hypocracy in judgment and reign, the dimensions and range of hypocracy in the hadiths of the future happenings.

The third and last chapter entitled "The Feature, and characteristics of Hypocrites" is divided into two sections. The first is about the explicit features of hypocrites. The second is about the implicit (implied or hinted to) feature of hypocrites.

The study approach is analytical. it focuses on the Arabic rhetoric's in terms of its three aspects: figures of speech, semantics and prosody the researcher has noticed the influence of the prophets

eloquence in the disclosure of this societal disease. This was clear in brevity, appropriateness and eloquence of the prophet's hadiths.

It is noteworthy to mention that the researcher's efforts in studying these pieces of evidences is in the domain of pohability and not certainty, so far as the researcher is in no position to present the exact intentions of the prophet. The researcher has noticed the prophet's emphasis on the danger of hypocracy on the whole nation, especially as regard to those who aspire to rule. Those are the most dangerous people on Islam.

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Basra
College of Education for Human Sciences
Arabic Department

The Image of the Hypocrites in the Humble prophetic Hadeeth
(The torical objective study)

A thesis

Submitted to the Council of the College of the Education for Human Sciences -University of Basra as Partial Fulfillment to the Requirements of the Degree of Master in Arabic Language

By

Ammar Maki Muhsin

Supervised By

Assist. Prof.

Dr. Falih Hamdan Ahmed Al-Hamdani

2013 A. D. 1434 A. H.